المثالية المطلقة في الفكر الفلسفي الحديث

عرض وتحليل

إعداد الدكتورة
نادية عبد الهادي عبد السلام
مدرس العقيدة والفلسفة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، خلق الإنسان وفضّله علي كثير من خلقه وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنه، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام علي أشرف خلقه ورسله، سيدنا محمد وعلي آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلي يوم الدين.

أما بعد

إن من أجلّ النعم التي أنعم الله بها علي الإنسان نعمة العقل، فهو زينة الإنسان، به يتميز وبه يُكلف، فعلي الإنسان أن يُحسن استخدام تلك النعم فيما يعود عليه وعلي دينه ومجتمعه ووطنه بكل مفيد ونافع، والفلسفة من العلوم النافعة في كل ذلك فهي صنو الحرية، هي علامة التأمل وأنشودة الحكمة وجوهر التفكير، وهي رمز لأعظم ما وضعه الله في الإنسان وهو العقل، ففي دراستها والبحث فيها غاية ومتعة للعقل البشري، وإشباع لرغبة الإنسان في المعرفة، فهي تمرس العقل علي التأمل والتساؤل وتحفزه علي اتخاذ القرار، وتساعده في تكوين وجهة نظر شخصية عن الحياة والإنسان والكون والوجود، كما تمكنه من القدرة علي التفكير وإثارة التساؤلات وإيجاد الحلول لنفسه ولمجتمعه، لأن الفيلسوف ابن عصره وزمانه، كما أن الفلسفة تلخص زمانها أيضا، وللفلسفة العديد من الأنواع والصور وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل علي رُقي الفكر وتطوره، فتتعدد الفلسفة تبعاً للعصور والموضوعات التي تتناولها، فهناك الفلسفة التجريبية والعقلية والنفعية والوضعية والمادية والمثالية وغيرها، وهناك الفلسفة القديمة وفلسفة العصور الوسطى والفلسفة الحديثة والفلسفة المعاصرة، ومن بين تلك الفلسفات العديدة " الفلسفة المثالية " وهي موضوع هذا البحث وتنقسم إلي مثالية نقدية ويمثلها كانط، ومثالية ذاتية ويمثلها فشته ومثالية مطلقة أو موضوعية ويمثلها شلنج وهيجل، إلا أنها ارتبطت بهيجل أكثر "لأنه استطاع أن يكّون نسقا عقليا هائلا استوعب في إطاره من فنون المعرفة

ما لم يسبق لأي مذهب آخر في الفكر الحديث استيعابه، فقد قال عنه أحد الفلاسفة المعاصرين:إنه ثالث ثلاثة صاغوا الوجود بأسره في أنظمة عقلية متناسقة وهم أرسطو بمذهبه الكوني في العصور القديمة، وتوما الاكويني بمذهبه اللاهوتي في العصور الوسطى وهيجل بمذهبه المثالي المطلق في الفلسفة الحديثة، لقد أراد أن يقدم لنا العالم في صورة كون حي جميل، كما استطاع أن ينطق بالمطلق وهذا هو لُب الفلسفة. (١)

وقد امتد تأثيره للقرن التاسع عشر، كما امتدت فلسفته خارج ألمانيا موطنه لتنافس المنهج التجريبي في انجلترا ، وتجد الهيجلية لها أتباعا في انجلترا منهم الفيلسوف برادلي مؤسس المثالية في انجلترا وهو من أجرأ الفلاسفة المثاليين في انجلترا، كما كان هناك بوزانكيت قمة المثالية في انجلترا كما أطلق عليه ذلك الدكتور /علي عبد المعطي محمد، وهذا ما جعلني أحاول سبر أغوار أبطال هذه الفلسفة التي عبرت الآفاق مكانا وزمانا.

الدراسات السابقة للموضوع

بالبحث عن دراسات سابقة في هذا الموضوع وجدت العديد من الكتب والتي تحدثت عن هيجل بكثرة كثيرة ما بين ناقد ومؤيد، وقد اعتمدت علي الكثير من هذه الكتب، أما بالنسبة لبرادلي فكانت الكتابات عنه نادرة جدا وحاولت قدر طاقتي أن استخلص منها آراءه في القضايا موضوع البحث، كذلك بوزانكيت علي الرغم من أنهم ليسوا من الفلاسفة المغمورين فلم أجد إلا كتابان وعدة مقالات فقط اعتمدت عليها في التعريف بهما وبالقضايا موضوع البحث وأرجو من الله تعالي أن أكون قد وُفقت فيما أصبو إليه، فإن كنت أصبت فالفضل لله وحده ثم لجهود الباحثين في هذا المجال، وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت سائلة الله تعالي أن يغفر لي خطأي

1) انظر هيجل أو المثالية المطلقة للدكتور / زكريا إبراهيم ص ١٧ ط مكتبة مصر

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة

المقدمة: وتناولت فيها أهمية الموضوع وخطة البحث

المدخل:وتناولت فيه مفهوم المثالية ونشأتها التاريخية، ويتمثل هذا المدخل في ثلاثة جوانب.

الجانب الأول: التعريف بالمثالية من جهة اللغة والاصطلاح بوجه عام ونشأتها التاريخية

الجانب الثاني: المثالية في الفكر الفلسفي اليوناني (أفلاطون أنموذجا)

الجانب الثالث: المثالية في الفكر الفلسفي الإسلامي (الفارابي أنموذجا)

الفصل الأول: المثالية المطلقة في الفكر الفلسفي الحديث عند هيجل

ويتكون هذا الفصل من خمسة مباحث:

المبحث الأول: حياته وفلسفته

المبحث الثاني: موقفه من علم المنطق

المبحث الثالث: فلسفة الطبيعة عنده

المبحث الرابع: فلسفة الروح وما يتعلق بها عنده

المبحث الخامس: موقفه من طبيعة الدين والمعرفة المطلقة

الفصل الثاني: المثالية المطلقة في انجلترا عند برادلي

ويتضمن هذا الفصل أربعة مباحث:

المبحث الأول: حياته وفلسفته

المبحث الثاني: الحقيقة المطلقة عنده ودرجاتها

المبحث الثالث: حقيقة العالم وما يتعلق بها عنده

المبحث الرابع: موقفه من الدين وطبيعته عنده

الفصل الثالث: المثالية المطلقة في انجلترا عند بوزانكيت

ويتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياته وفلسفته

المبحث الثاني: موقفه من علم المنطق والأخلاق والسياسة

المبحث الثالث: موقفه من طبيعة الدين والتدين

الخاتمة: وفيها أهم النتائج المستخلصة من البحث

ومن الله تعالي أستمد العون والتوفيق

مدخل إلى دراسة الموضوع

مفهوم المثالية ونشأتها التاريخية

الجانب الأول

تعريف المثالية:

تعد الفلسفة المثالية من أقدم الفلسفات الفكرية، والتي ترجع إلى كل من سقراط، وأفلاطون، وتؤمن بأزلية الأفكار وكونيتها، وأن العقل حقيقة كونية، وهو مصدر المعرفة الوحيد، وأن المعرفة أساس الفضيلة، ويرى المثاليون أن الأفكار تسبق المحسوسات، وأن ماهية الأشياء تسبق وجودها.كما يرى المثاليون أن الإنسان مكون من عقل ومادة، أو روح وبدن، أما الروح؛ فينسب إلى عالم المُثل الأزلي، الذي لا يدرك إلا بالعقل، وأما البدن فينسب إلى عالم الحس، ورجحت عالم المُثل على عالم الحس؛ لذلك اهتمت بالجانب العقلي (المعرفي)، وعدت المعرفة قيمة عليا بوصفها طريق الفضيلة، ولذلك فإن الفلسفة المثالية هي فلسفة أم كما وصفها الكثيرون، لأنها طبقت الوظيفة الحقيقية للفلسفة وهي الاعتماد علي الميتافيزيقا كمنهج فلسفي، والاعتماد علي العقل كوسيلة للتفسير وهي فلسفة بالغة التجريد, وتعتبر من أكثر الفلسفات صعوبة، وغموضاً، وتنوعاً، ورغم ذلك هي الأثرى في الطرح الفلسفي ولعل هذا يرجع إلى عمقها في تصوّر الواقع.

ورغم ذلك يمكن ردها إلى مبدأ واحد هو تصورها لحقيقة الأشياء والموضوعات بل الواقع ذاته، إذ أنه من صنع العقل بمعنى أن عمل العقل يتمثل في تجريد الظاهر في الخارج وكشف الجوهر المتعالي للواقع الحقّ.

فالمثالية مذهب فلسفي، يرى أن العقل هو أساس المعرفة وأنه هو الحقيقة النهائية، فالمادة مظهر تتبدّى فيه الروح، والأرواح هي الفاعل وهي التي تملك إرادة كما يقول هيجل وكانت.

ولذلك آثرت أن يكون هذا البحث عن المثالية المطلقة بصفة خاصة من حيث مفهومها وخصائصها وأبرز رجالاتها، ولنبدأ ب-

تعريفها لغة:

ترجع المثالية في أصلها اللغوي العربي إلي كلمة (مُثل) بمعنى فضل، أي صار ذا فضل يُقال:أمثل بني فلان، أي أدناهم إلي الخير أي أقربهم له ومنه المثالي ومعناه الشائع بين الناس هو:وصف لكل ما هو كامل في بابه كالخُلق المثالي واللوحة المثالية ولكل ما يتصف بالسمو(١).

فالناس يصفون إنسانا بأنه مثالي إذا كان في فكره وفي عمله حريصا علي ترسم الصورة الكاملة ساعيا إلي تحقيق المثل الأعلى، والمثل بمعنى الشبه والأمثل بمعنى الأعدل والأشبه وبمعنى النموذج ويُطلق المثالي للشخص الذي يسير في فكره وعمله علي مبدأ معين محاولا الاقتداء بمثل أعلي، هذا في اللغة

أما في الاصطلاح

أما عن استعمال الفلاسفة لهذا المصطلح فمختلف، فالمثالية عندهم مذهبان.

المذهب الأول: وهو المذهب القديم وهو المذهب الأفلاطوني الذي يرى أن الأفكار والمعقولات أو المُثل موجودة وجودا هو أسمى من الوجود المحسوس، لأنها هي المبادئ النموذجية الأصيلة للأشياء.

أما المذهب الثاني فهو المذهب الحديث الذي مهد له ديكارت، وأبرزه باركلي، ثم شيد البناء كانط، ويرى هذا المذهب أن الأشياء أو الموضوعات ليست سوى انطباعات حسية أو أفكار لا يمكن أن تتحقق في الوجود إلا علي نحو ما باعتبارها

---

١) انظر المُعجم الوجيز إصدار مجمع اللغة العربية لعام ١٩٩٨ م، والمُعجم الفلسفي /جميل صليبا /ج ٢ / ص ٣٣٦ /ط ١

تمثلات ذهنية، أي أن الأشياء الموجودة مرتبطة بالقوة المتعقلة التي تدركها [١].

أما المثالية كمذهب فلسفي فهي: مصطلح فلسفي يُطلق بوجه عام على النزعة الفلسفية التي ترد كل الوجود إلي الفكر بأوسع معانيه [٢].

وقيل المثالية: مذهب فلسفي يرى أن العقل هو أساس المعرفة وأنه هو الحقيقة النهائية، وأن المادة مظهر تتبدي فيه الروح والأرواح هي الفاعل وهي التي تملك إرادة [٣].

وقيل:هي موقف فلسفي نظري وعملي يرد كل ظواهر الوجود إلى الفكر أو يجعل من الفكر منطلقا لمعرفة الوجود أو الحقيقة مؤكدا على أسبقية المثال بكل معانيه على الواقع.[٤]

أما المثالية في علم الجمال فهي: أن الغاية من الفن ليست في محاكاة الطبيعة وإنما في تمثل طبيعة وهمية [٥].

وهكذا يتبين لنا أن الفلسفة المثالية هي الفلسفة العقلية الكلية التي ترى أن الواقع إن لم يكن منبثقاً عن الفكر ومعتمدا عليه في وجوده فهو علي أقل تقدير مرتبط به فلا واقع بدون فكر ولا فكر بدون عقل، لكن لي ملاحظة كيف يكون المثال سابقا علي الواقع، مع أن الواقع هو الذي يأتي بالمثال فلولا ترقي الواقع في

---

١) رواد المثالية في الفلسفة الغربية /ا.د عثمان أمين .ص ٧،٨ /ط دار المعارف.القاهرة

٢) انظر المعجم الفلسفي ا.د جميل صليبا ج ٢ / ص ٣٣٧

٣) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي

٤) الموسوعة الحرة ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki5،موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠، الجزء السادس ص ٢٧.

٥) المعجم الفلسفي للدكتور مراد وهبه ص ٥٧٣ ط دار قباء الحديثة للطباعة والنشر عام ٢٠١١

الدرجات والرتب لما وصل إلي المثال، وقد يكون المراد كما أراد أفلاطون أن كل ما هو في الواقع له وجود في عالم المُثل.

النشأة التاريخية للفلسفة المثالية

تتعدد الآراء عندما نتحدث عن النشأة التاريخية لأي علم من العلوم وتتباين الرؤى وتختلف إلي حد عدم الاتفاق ولا نري رأيا قاطعا في ذلك، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل علي ثراء في الفكر وان كان مما يشتت الرأي أحيانا ، ونحن عند حديثنا عن نشأة الفلسفة المثالية المطلقة وجدنا من يرجعها ألي الحضارة المصرية القديمة ومنهم من أرجعها إلي الحكمة الهندية ومنهم من أرجعها إلي الفلسفة اليونانية، "لقد شغلت الفلسفة المثالية وما زالت تشغل أرفع مكان في تاريخ الفكر الإنساني لقد تبوأت مكانها المرموق في مهد العلوم وبداياتها، وكانت تعود إلي الظهور علي أنحاء مختلفة في جميع العصور ولدى جميع الشعوب التي ارتفع فيها الفكر إلي مقام الفلسفة، لقد كان لها تأثير كبير علي حياة الناس وتفكيرهم، لأنها قائمة علي حاجة حقيقية في النفس وعلي قانون طبيعي من قوانين الذهن ألا وهو الارتقاء والسمو في المعرفة التي مصدرها العقل، وبغير مثالية لا يكون علم صحيح ولا معرفة واضحة، وأن كل مذهب يُعارض المثالية إنما مآله إنكار المعرفة، لأن الشرط الأول لقيام العلم هو استناده إلي قوانين ثابتة ومبادئ ضرورية، وإذا أبطلنا المبادئ لم تبق إلا الظاهرات وهي متغيرة ونسبية ولا تصلح أساسا ثابتا للمعرفة، وهذه المبادئ لا يمكن معرفتها أو تعقلها إلا عن طريق الفكرة، وإذا أبطلنا الفكرة خرجت التجربة عن ضوابط الفكر ولم تستطع أن تقدم لنا إلا تمثلات غامضة لا صلة بينها ولا قيمة لها، وإلي المدارس المثالية القديمة والحديثة انتمى أعلام الفلاسفة وكبار المصلحين في العالم [1]

---

١) انظر: رواد المثالية في الفلسفة الغربية للدكتور / عثمان أمين ص ١٣،١٤ ط دار المعـــارف عام ١٩٦٧

فلنذهب لنري تلك الأهمية من خلال استعراضنا لنشأتها علي مر العصور

يقول الدكتور: يوسف حامد الشين "إن الفلسفة المثالية تنطلق من المفاهيم الكلية كأساس للمعرفة البشرية لهذا الكون، ولما كانت القضية قضية مبادئ فعلينا أن نبدأ من أصول هذه الفلسفة في الشرق الأدنى القديم وهو حق طالما أنكره الكثيرون تارة علانية وتارة بدبلوماسية، ولكن يبدو أن مشاكل وطموحات البشرية متشابهة منذ طفولة البشرية وحتى الآن وحتى وإن تباينت درجة هذه المشاكل والطموحات ومهما كان الإنسان في عصوره الغابرة ضئيل التفكير إلا إنه بدأ بقضايا كبرى ما زالت حتى الآن قيد البحث، وعلى رأس هذه القضايا هل هناك حقيقة ثابتة ؟ [(١)]

ويقول أيضا: "إن نشأة الفلسفة المثالية بمعانيها المتعارف عليها الآن ترجع في اعتقادنا إلي ديانة المصريين القدماء، ومما يُرجح هذا الرأي هو كون الفلسفة المثالية تقوم علي فكرة الكلية العقلية، أي أن العقل الكلي هو منشأ الوجود والمعرفة فمنه نشأ كل شيء وإليه يعود وكل شيء مرتبط به " [(٢)]

<u>ويُرجع أسباب هذه النشأة إلي:-</u>

١- الفلسفة المثالية فلسفة عقلية كلية لا تهتم بالجزئيات باعتبار هذه الجزئيات لا تمثل الحقيقة، وهذا هو صلب الديانة الفرعونية التي ترى في حياتنا الدنيوية لحظة عابرة في طريق الخلود

٢- الفلسفة المثالية تقوم على فكرة العقل المطلق أو الله، الذي نشأ منه كل شيء، وهذا ما دعت إليه ديانة المصريين

---

(١) انظر: الفلسفة المثالية قراءة جديدة لنشأتها وتطورها وغاياتها،للدكتور / يوسف حامد الشين ص ١٣: ١٦ بتصرف،ط منشورات جامعة قار يونس الطبعة الأولى ١٩٩٨

(٢) نفس المرجع

٣- الفلسفة المثالية لا تهتم بمظاهر الحياة وقشورها إلا من حيث أنها وسيلة للترقي، والديانة المصرية القديمة سارت على نفس النهج لم تعبأ بالحياة إلا على سبيل أنها استعداد للالتحاق بعالم الألوهية

٤- الفلسفة المثالية كفاح ضد عالم المادة، عالم الظاهر الذي يخفي عنا الحقيقة، وتلك كانت غاية الديانة المصرية التي جعلت من فكرة الموت والبعث والحساب والجنة والنار كل همها في الحياة

وأيضا من خصائص الفلسفة المثالية أنها مُخلّصة للعقل، تُعلي من قدر الذات، وثيقة الصلة بالواقع، وهي فلسفة أُم تحتضن الكثير في طياتها، ومنها تفرعت الكثير من الاتجاهات الفلسفية الحديثة والمعاصرة(١)

هذا بعض ما ذكره الدكتور يوسف الشين من وجود علاقة ارتباط بين الفلسفة المثالية والديانة المصرية القديمة، ونحن نري أن هذه النقاط فيها ما يبين ذلك، ولكن لم تُذكر كلمة مثالية أو مُثل، وهذا يُعد استنتاجا طيبا يدل على عظمة هذا الشعب وهذه الأمة المصرية صاحبة الحضارة العظيمة التي ما وُجد علم أو ثقافة إلا وهي أساس لها، ولكن المثالية لم تتبلور وتظهر بشكل تام لأن الأمر هنا يتعلق بديانة وليس مذهبا عقليا، والأديان لا تقوم علي العقل وحده بل وحي وعقل.

ثم ظهرت ثورة الشك هذه مرة أخرى بعد عدة قرون من ذلك العصر عند فلاسفة اليونان مع ظهور السوفسطائيين الذين بذلوا جهدهم لإقناع الناس بعبثية القيم الأخلاقية وخرافة الأديان، فكان ذلك باعثا رئيسيا في قيام الحركة الفلسفية علي يد سقراط ومجادلته لهم، والتي تتمثل في محاولته تحديد تعريفات ثابتة للتصورات الأخلاقية، فكان يبحث عن ماهية الشجاعة أو العدالة لكي ينتهي إلي الحقيقة الثابتة التي لا تتغير مهما تغيرت أمثلتها، ولكن سقراط لم يتعدى التصورات الأخلاقية، إلي

(١) نفس المرجع صـــ ١٦

القول بوجود مفارق للمُثل، ثم جاء من بعده تلميذه أفلاطون ليصلح ما أفسده هؤلاء السفسطائيون ، وارتقى في فكره وفلسفته إلي فكرة عالم المُثل في جمهوريته والتي كانت نواة للفلسفة المثالية في عهد أفلاطون-٣٤٢- ٤٢٧ق م(ويعد رائد هذه الفلسفة ومؤسسها قديما حيث ظهرت بعض أرائه وأفكاره المثالية في كتابيه المشهورين: '' الجمهورية'' و'' القوانين'' وسأتحدث عن ذلك بشيء من التفصيل عند الحديث عن أفلاطون ونظرية المُثل عنده، ثم تفاعلت المثالية بالديانة المسيحية فقد تبنى القائمون على نشر الديانة المسيحية الفلسفة المثالية طوال العصور الوسطى وحتى عصرا لنهضة منذ عام ١٦٩٠ فقد اعتقدوا بوجود الحقيقة النهائية في العالم الروحي المنفصل عن العالم الأرضي الذي نعيش فيه.[١]

ثم عادت هذه الفلسفة للظهور والتطور مرات أخرى ولكن بمفاهيم ومذاهب جديدة في العصر الحديث مثل:

المثالية الذاتية أواللامادية

:جاءت هذه الفلسفة في العصور الحديثة في أواخر القرن السابع عشر على يد الأسقف الايرلندي جورج بار كلي١٦٨٥ -١٧٥٣ - الذي أنكر المادة مدرعا باستحالة إدراك الأشياء المادية.لقوله بان الوجود هو كون الشيء مدركا كما تؤكد المثالية الذاتية أن الذهن وحده هو الموجود الحقيقي، وأن المادة ليس لها أي وجود مستقل خارج الذهن، ثم ظهرت.

المثالية النقدية:

رائدها عما نويل كانط - ١٧٥٤-١٨٠٤ -الذي أرجع كل شيء للإيمان وإن

١) انظر: انظر تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، للدكتور مصطفى النشار ص ٢٠١، ط دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

القدرة على المعرفة هي من عند الله، وأن العالم مرجعه إلي قوانين العقل، وقد أشار النقاد والفلاسفة على أن المثالية عنده كانت تتميز بصفتين:

١) أنها اهتمت بوضع حدود للعقل بحيث لا يتعداها إلا في حدود التجربة الممكنة.

٢) إنها وضعت شروطا عقلية تجعل هذه التجربة ممكنة، وقد اختلف كانط مع الفلاسفة معتقدا بأن للعقل ناحية باطنية موجودة في المادية الحسية وأن العالم الحسي لا يستطيع الوقوف عليها وحده فهو بحاجة دائمة إلى المعرفة العقلية.، ثم بعد ذلك ظهرت.

المثالية الموضوعية:

جاءت المثالية الموضوعية أو المطلقة على يد الفيلسوف الألماني جورج هيجل الذي جاءت فلسفته كردة فعل ضد المثالية الذاتية حيث آمنت بوجود عقل مطلق في الطبيعة، حيث أن المطلق هو الوجود الواقعي كله فلا يوجد حقيقة خارج العقل الإنساني أو فوقه وكل معرفة هي معرفة إنسانية وأن الوجود هو الفكر في ذاته(١).

نخلص من ذلك أن المثالية بدت نواتها مع أفكار أفلاطون ومن خلال كتابيه: '' الجمهورية'' و'' القوانين'' بصورتها القديمة وظهرت كفلسفة مثالية في القرن الثامن عشر الميلادي ثم تطورت مرتبطة بباركلي وكانط وهيجل بصورتها الحديثة وتتصل بكل من كروتشيه وبرادلي وكولريدج وكاريل وبوزانكيت بصورتها المعاصرة فهؤلاء من أبرز شخصيات هذه الفلسفة.وسأتناول ببعض التفصيل أبرز شخصيات المثالية في العصر الحديث.

---

١) المرجع السابق نفس الصفحة، المعجم الفلسفي للدكتور مراد وهبه ص ٥٧٣ ط دار قباء الحديثة للطباعة والنشر عام ٢٠١١Suka3 Komentar3 Kali Dibagikan 17 شبكة علوم https://id-id.facebook.com/3lomcom/posts/456854064420404

الجانب الثاني

المثالية في الفكر الفلسفي اليوناني (أفلاطون أنموذجا)

يعد أفلاطون رائد هذه الفلسفة ومؤسسها قديماً، وهو الأب الروحي للفلسفة المثالية، وكل الفلاسفة المثاليين يدينون له بصورة من الصور، ولفظ المثالية اشتق أساسا من فلسفته في المُثل، وقد ظهرت بعض أرائه وأفكاره المثالية في كتابيه المشهورين الجمهورية و'القوانين، وسنتحدث عنه بالتفصيل باعتباره المؤسس الأول للمثالية.

حياة أفلاطون.

يتفق المؤرخون على أن أفلاطون هو أرستوكليس بن اريستون، وأنه لُقب بأفلاطون أي عريض المنكبين لامتلاء جسمه وقوة بنيانه، وُلد في عام ٤٢٧ أو ٤٢٨ ق.م لأسرة ارستقراطية عريقة الأصل في أجينا إحدى قري أثينا، فأسرة والده يرجع نسبها إلي ملوك أثينا الأوائل، بل أرجع البعض أصل هذه الأسرة إلي الإله بوزايدن إله البحر، أما أسرة والدته فيرجع نسبها إلي سولون المشرع اليوناني الشهير، وقد أتاح هذا الأصل الارستقراطي لأفلاطون نشأة متميزة وتطور فكري فريد، فقد تعلم الموسيقى والبلاغة والرياضيات والشعر، لكن الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية كانت مضطربة، ففي الناحية الفكرية كانت هناك العديد من المذاهب الفكرية ما بين شُكاك ودوجماطيقيين ومؤلهين ومُلحدين.

أما الناحية السياسية فقد نشأ في الوقت الذي نشأ فيه الصراع بين أثينا واسبرطه، وفي هذه الفترة تعرف على سقراط ووجد فيه طوق النجاة، فقد سمع كثيرا من محاوراته عن طريق أقربائه، وأمام هذا الواقع السياسي الدموي الذي شهده أفلاطون ومحاكمة أستاذه سقراط، رأى أن يقيم حكومة عادلة من خلال الفلسفة وهي جمهورية أفلاطون قام بالعديد من الرحلات إلي ميجارا ومصر وجنوب

ايطاليا، أنشأ مدرسة لتخريج وتربية فلاسفة سياسيين قادرين على بث مبادئ العدالة في مختلف أصقاع البلاد اليونانية، له العديد من المؤلفات على هيئة حوارات وعددها ٢٨ محاورة متفاوتة الحجم"كان يُلقب بأفلاطون الإلهي، وقد قيل في تبرير ذلك، أنه كان أول مؤله منهجي كما يقول الدكتور محمد غلاب عنه:وضع الإلوهية كنظرية فلسفية في بلاد الإغريق، بل إن تاريخ البرهنة الفلسفية علي وجود الله قد بدئ بعصر أفلاطون "توفي عام ٣٤٧ – ٣٤٨ ق. م [١].

فلسفته:

جاء أفلاطون بعد سقراط ليقدم تصورا فلسفيا عقلانيا مجردا ولكنه تصور مثالي؛ لأنه أعطى الأولوية للفكر والعقل والمثال، بينما المحسوس لا وجود له في فلسفته المفارقة لكل ما هو نسبي وغير حقيقي .ولأفلاطون نسق فلسفي متكامل يضم تصورات متماسكة حول الوجود والمعرفة والقيم، وتتمثل فلسفته في نظرية المُثل وهي عصب الفلسفة الأفلاطونية، لأنها جوهر وأساس نظريته في الوجود، ، وهي الموضوع الوحيد للعلم اليقيني عنده وما عداها فهي أوهام وظنون، وقد عرف المثال بأنه "المعنى الكلي المعقول المفارق لظلاله في عالم الأشياء المحسوسة وقد وضع أفلاطون عدة خصائص للمُثل تتمثل في.

١) أن المثال هو الجوهر الثابت للشيء وجوهر المثال عنده هو ذلك الوجود الكلي في ذاته، وهو علة ذاته وهو أساس وعلة غيره

---

١) انظر: موسوعة أعلام الفلسفة للأستاذ روني ايلي ألفا ج ١ /ص ٩٧ وما بعدها ط دار الكتب العلمية، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي للدكتور /مصطفى النشار ج ٢ /ص ١٥٥ وما بعدها ط دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه للدكتور /محمد المسير ص ٣٨ /ط دار المعارف، وقصة الفلسفة لول ديورانت، ص ١٩ ترجمة فتح الله محمد المشعشع ط مكتبة المعارف بيروت ١٩٨٨ ط السادسة

٢) أن المُثل كلية وليست أي شيء جزئي.

٣) أن المُثل أفكار ولكنها الأفكار التي تمثل حقيقة الأشياء

٤) أن كل مثال وحدة قائمة بذاتها فهو الوحدة وسط التعدد

٥) أن المُثل ثابتة وغير فانية فجوهر كل شيء يظل ثابتا.

٦) أن المُثل ماهيات الأشياء جميعا.

٧) أن كل مثال هو في نوعه كمال مطلق وكماله هو عين حقيقته

٨) أن المُثل مفارقة أي توجد خارج المكان والزمان

٩) أن المُثل عقلانية أي أنه يتم معرفتها عن طريق العقل [١].

وقد قسم أفلاطون العالم الأنطولوجي إلى قسمين :العالم المثالي والعالم المادي، فالعالم المادي هو عالم متغير ونسبي ومحسوس والمعرفة فيه نسبية تقريبية وجزئية وسطحيه وقد استشهد أفلاطون بأسطورة الكهف ليبين بأن العالم الذي يعيش فيه الإنسان هو عالم غير حقيقي، وأن العالم الحقيقي هو عالم المثل الذي **يو**جد فوقه الخير الأسمى والذي يمكن إدراكه عن طريق التأمل العقلي والتفلسف .فالطاولة التي نعرفها في عالمنا المحسوس غير حقيقية، أما الطاولة الحقيقية فتوجد في العالم المثالي. وتوجد المعرفة الحقيقية في عالم المثل الذي يحتوي على حقائق مطلقة ويقينية وكلية .

كما تدرك المعرفة في عالم المثل عن طريق التفلسف العقلاني، ومن هنا فالمعرفة حسب أفلاطون تذكر والجهل نسيان .ويعني هذا أننا كلما ابتعدنا عن العالم المثالي إلا وأصابنا الجهل، لذا فالمعرفة الحقيقية أساسها إدراك عالم المثل وتمثل مبادئه المطلقة الكونية التي تتعالى عن الزمان والمكان .ومن ثم، فأصل المعرفة هو

---

١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي للدكتور /مصطفى النشار ص ١٩٩، ٢٠٣،٢٠٤، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها للدكتورة / أميرة حلمي مطر ١٦٢، ١٦٣ ط دار قباء للطباعة والنشر عام ١٩٩٨.

العقل وليس التجربة أو الواقع المادي الحسي الذي يحاكي عالم المثال محاكاة مشوهة [١]، إذن يقوم المثال بوظيفة العلة المفسرة للوجود الطبيعي عند أفلاطون.

المثالية الأفلاطونية

إن المثالية الأفلاطونية مثالية مطلقة تتجه إلي ما هو بذاته، لأنها تري في الفكرة أو المثال موجودا متميزا متعاليا، هو عنصر المعرفة المطلقة التي هي الموجود المطلق ذاته الذي لا يتغير، والذي بفضله تجئ الأشياء كلها إلي الوجود، وأن المعرفة ذات طابع سماوي؛ لأنها مصدر الأشياء ومدبرها فهي مثالية لاهوتية[٢].

وتتمثل المثالية عند أفلاطون في جمهوريته الفاضلة، حيث يؤسس أفلاطون في "جمهوريته الفاضلة " مجتمعا متفاوتا وطبقيا، إذ وضع في الطبقة الأولى الفلاسفة والملوك واعتبرهم من طبقة الذهب، ويتصفون بالحكمة، بينما في الطبقة الثانية وضع الجنود وجعلهم من طبقة الفضة، أما الطبقة السفلى فقد خصصها للعبيد وجعلهم من طبقة الحديد؛ لأنهم أدوات الإنتاج والممارسة الميدانية .كما أنه بني جمهوريته علي العدالة والتي تعني "أن يقوم كل شخص بأداء وظيفته على الوجه الأكمل في الوقت الذي تحافظ له الدولة علي هذه الوظيفة بحسب المواهب والمؤهلات الطبيعية الكامنة فيه من دون أن يتدخل أي فرد في عمل غيره وقد بين لنا أفلاطون سبب ربطه للعدالة بالوظيفة وذلك في سبب نشأة الدولة، لأن الدولة نشأت من عجز الفرد عن الاكتفاء بذاته وحاجته إلي أشياء لا حصر لها فهو إذن في حاجة إلي مساعدة

---

١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي للدكتور /مصطفى النشار ص ١٩٩، ٢٠٣،٢٠٤ الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها للدكتورة / أميرة حلمي مطر ١٦٧ ط دار قباء للطباعة والنشر عام ١٩٩٨

٢) انظر:- رواد المثالية في الفلسفة الغربية للدكتور / عثمان أمين ص ٨، ط / دار المعارف

الآخرين والآخرين أيضا في حاجة إليه، فكان لابد من أن يتجمع هؤلاء ليحققوا حاجاتهم المشتركة، وعندما يتجمعوا في مكان يسمى مجموع السكان دولة.

وهكذا يتبين لنا أن فلسفة أفلاطون فلسفة مثالية مفارقة للمادة والحس، تعتبر عالم المثل العالم الأصل بينما العالم المادي هو عالم زائف ومشوه وغير حقيقي .كما تجاوز أفلاطون المعطى النظري الفلسفي المجرد ليقدم لنا تصورات فلسفية واجتماعية وسياسية في كتابه "جمهورية أفلاطون .ويلاحظ أيضا أن التصور الأفلاطوني يقوم على عدة ثنائيات :العالم المادي في مقابل العالم المثالي، وانشطار الإنسان إلى روح من أصل سماوي وجسد من جوهر مادي، وانقسام المعرفة إلى معرفة ظنية محسوسة في مقابل معرفة يقينية مطلقة .وعلى المستوى الاجتماعي، أثبت أفلاطون أن هناك عامة الناس وهم سجناء الحواس الظنية والفلاسفة الذين ينتمون إلى العالم المثالي[١].

ومن ذلك فقد اعتقد أفلاطون بوجود ما يسميه العالم الحقيقي الموجودة فيه الأفكار العامة الحقيقية والتي لها وجودها المستقل لا تتبدل ولا تتغير، بينما العالم الواقعي لا يمثل الحقيقة النهائية وهو خيال للعالم الحقيقي الذي توجد فيه الحقائق والأفكار الثابتة النهائية، ، فالمُثل عند أفلاطون اتسعت لتفسير جميع الموجودات سواء الأخلاقية أو الطبيعية، فكان يرى أن المعرفة بالجزئيات لا تكون صحيحة إلا إذا توافرت للإنسان المعرفة بالفكرة العامة المفسرة للأمثلة الجزئية المحسوسة، كما يرى أن الفكرة العامة أو الماهية المعقولة سابقة علي وجود الجزئيات المشتركة معها في الاسم (المثال في ذاته) وقد عمم أفلاطون نظريته هذه علي كل مجالات الوجود

---

١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي للدكتور /مصطفى النشار ص ١٩٩، ٢٠٣،٢٠٤– الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها للدكتورة / أميرة حلمي مطر ١٦٧ ط دار قباء للطباعة والنشر عام ١٩٩٨

وفي النهاية نستطيع أن نقول: أن الظروف السياسية التي عاشها أفلاطون، وما حدث لأستاذه سقراط، ونظام الحكم في أثينا كان له أكبر الأثر في فلسفته، كما أن الخواء الروحي والخلقي والديني الذي تركه السفسطائيون، كل ذلك جعل أفلاطون يسلك طريق العالم المعقول ويترك عالم المادة، لأنه الوجود الحق، وأن معرفة الأشياء والفضائل لا توجد إلا في عالم مفارق لهذا العالم المحسوس، وإن كانت مثاليته مفرطة وفوق مستوى طاقة الناس، إلا أنه يعترف بأنه وصف دولة مثالية صعبة التحقيق ولكن هناك فائدة من رسم هذه الصور التي في أذهاننا، وهي أن أهمية الإنسان تكمن في قدرته علي تصور عالم أفضل وتحقيق جزء علي الأقل من هذه الدولة المثالية.

الجانب الثالث

الفلسفة المثالية عند الفارابي

قبل الحديث عن الفلسفة المثالية عند الفارابي لابد أن نذكر نبذة عنه وعن فلسفته:

نسبه وحياته:

هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، ويُعرف بالفارابي نسبة إلي ولاية "فاراب "إقليم كبير وراء نهر جيحون، قيل إنه تركي وهو رأي أكثر المترجمين، إلا أن ابن أبي أصيبعة يذكر أن أباه فارسي الأصل تزوج من امرأة تركية وأصبح قائدا في الجيش التركي، وُلد عام ٢٥٩ هـــ، عاش ما يقرب من ثمانين عاما تُوفي عام ٣٣٩ هـــ كان يعرف الكثير من اللغات وفنون الموسيقى ودرس المنطق والفلسفة والتصوف وعاش حياته زاهدا، أثنى عليه الكثير من المؤرخين له ومنهم دي بور قال عنه "كان الفارابي يعيش في عالم العقل ابتغاء الخلود وكان ملكا في عالم العقل " ويقول القفطي "فيلسوف المسلمين غير مُدافع "ويقول ماسينيون "أول مفكر مسلم كان فيلسوفا بكل ما للكلمة من معني "

مؤلفاته

ترك الكثير من المؤلفات منها علي سبيل المثال: رسالة فيما يجب تعلمه قبل دراسة الفلسفة، عيون المسائل، إحصاء العلوم، الجمع بين رأي الحكيمين، تحصيل السعادة، آراء أهل المدينة الفاضلة، السياسة المدنية، الدعاوى القلبية وغيرها، وقد لُقب الفارابي بالمعلم الثاني وقيل أن السبب في ذلك أنه في الإسلام كأرسطو في اليونان جمع علوم الفلسفة وهذب مباحثها وأحصى كتب أرسطو ورتبها والناس بعده عيال عليه في الفلسفة.[١]

(١) الفلسفة الإسلامية د / سامي حجازي صـــ ٤٥ طـــ دار الطباعة المحمدية، القاهرة

الفلسفة المثالية عنده (المثالية الفارابية)

إذا كنا قد قلنا بأن فلسفة أفلاطون تتمحور في نظرية المُثل وفي جمهوريته، فإن فلسفة الفارابي أيضا تتمحور في مدينته الفاضلة، وهو فيها لا يرسم نظاما سياسيا كما فعل أفلاطون ونظاما للحكم، وإنما يبين أراء أهل المدينة الفاضلة يبين معتقداتهم ونظام سلوكهم كأفراد وكجماعة ويبين الضلال الذي تنهار فيه المدن أسبابه ونتائجه، ويتحدث عن الترابط الكوني بين السماء والأرض، وعن الترابط الاجتماعي بين الرئيس والمرءوسين، وقد اهتم الفارابي اهتماما بالغا بموضوع المدينة الفاضلة وألف فيها كتابا أسماه " آراء أهل المدينة الفاضلة "جمع فيه فلسفته ومثاليته ولنبين الآن تكوين مدينته ومدي مثاليته.

يذكر في البداية حاجة الناس إلي الاجتماع والهدف منه يقول في ذلك:"لا يمكن أن ينال الإنسان الكمال الذي لأجله جعلت له الفطرة الطبيعية إلا باجتماعات جماعة كثيرة متعاونين، يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج إليه في قوامه، فيجتمع مما يقوم به جملة الجماعة لكل واحد جميع ما يحتاج إليه في قوامه وفي أن يبلغ الكمال وبقيام كل إنسان بعمله الخاص به وعلمه المنوط بمرتبته يكتسب هيئة نفسانية فاضلة، كلما داوم عليها صارت أقوى وتزايدت فضيلتها إلي أن يبلغ حد الاستغناء عن المادة ويصل ألي مرتبة "لا تتلف بتلف المادة ولا إذا بقيت احتاجت إلي مادة " والهدف العام من ذلك الاجتماع هو التعاون علي نيل السعادة[1].

ثم يبين أن مدينته تقوم علي ركنين:

الركن الأول: وهو العقائد ويشمل العقيدة في الله والكون والإنسان وهي قضايا

١) انظر: المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه للدكتور /محمد المسير ص ١٧٧ ط. دار المعارف

الفلسفة بصفة عامة علي مدى العصور، ، لأنه يري أن الآراء والعقائد الصحيحة في الكون والإنسان والحياة هي طريق بناء المجتمع وسعادة أفراده.

– عقائدهم في الله تعالي:أن الوجود الإلهي قضية لا تحتاج ألي دليل، ومع ذلك أقام دليلين علي وجوده تعالي وهما دليل الوجوب والإمكان، والثاني دليل الإتقان والعناية، وفي الصفات بدأ بالتنزيه المطلق للموجود الأول، ويصل فيه إلي أقصى غاياته ويحقق المعني العام الشامل الكلي في أوسع معانيه وأبعد أهدافه، ويصفه بأنه أزلي دائم الوجود بجوهره وذاته، يخلو من كل مادة وموضوع، وهو الموجود الذي ليس له علة أو سبب، ليس له شريك.(١)

– أما عن عقيدته في الكون: فيبينها في أول كتاب "أراء أهل المدينة الفاضلة بقوله:" الموجود الأول هو السبب الأول لوجود سائر الموجودات كلها"ووجود الأشياء عنه لا عن قصد يشبه قصودنا، ولا علي سبيل الطبع، وإنما ظهرت عنه لكونه عالما بذاته، وأنه مبدأ لنظام الخير في الوجود علي ما يجب أن يكون عليه فأذن علمه علة لوجود الشيء الذي يعلمه(٢) .

"وحلا لمشكلة أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد قال بنظرية الصدور أو الفيض أو العقول العشرة، وعن العقل العاشر صدر العالم الأرضي وهو ممكن لأنه لا يقوم بنفسه وله علة وسبب في وجوده ، وحادث لأن له بدءا زمانيا.

– أما عن عقيدته في الإنسان فيقول: أن أول ما يتكون من الأعضاء القلب، ثم الدماغ ثم الكبد ثم الطحال ثم يتبعها سائر الأعضاء وآخرها تكوينا أعضاء التناسل، ويقسم الفارابي قوى النفس إلي، القوة المتخيلة والغاذية والناطقة والنزوعية.

---

١) نفس المرجع ص ١٩٣ وما بعدها،والتفكير الفلسفي في الإسلام للدكتور عبد الحليم محمود ٢٥١ وما بعدها بتصرف

٢) نفس المرجع السابق

الركن الثاني: العالم الأرضي ويتحدث فيه عن علاقة الرئيس بالمرؤسين فيقول بأنه لابد من وجود رئيس يطبق هذه المبادئ ويحمل الناس عليها، ل ه من المؤهلات الفطرية والمكتسبة ما يمكنه من أداء رسالته.

ومن هذه الصفات الفطرية: أن يكون تام الأعضاء حتى يستطيع انجاز الأعمال الخاصة بها، وأن يكون جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له، وأن يكون ذكيا، حسن العبارة محبا للتعليم والاستفادة، غير شره في المأكول والمشروب والمنكوح، محبا للصدق مبغضا للكذب كبير النفس محبا للكرامة، يهون عنده الدينار والدرهم، محبا للعدل مبغضا للظلم، قوي العزيمة.

أما الصفات المكتسبة فهي.

أن يكون حكيما، أن يكون عالما حافظا للشرائع والسنن والسير، له جودة استنباط فيما لا يحفظ عن السلف وإرشاد بالقول إلي شرائع الأولين، له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمال الحرب، وباجتماع هذه الخصال يترقى عقله إلي رتبة العقل المستفاد الذي يتلقى عن العقل الفعال مباشرة بلا واسطة، ويكون هذا الإنسان حكيما فيلسوفا بما يفيض منه إلي عقله المنفعل، ونبيا منذرا بما يفيض منه إلي قوته المتخيلة، وهو في أكمل مراتب الإنسانية ولا يرأسه إنسان أخر وهو الإمام ورئيس المعمورة كلها [1].

ومن خلال عرضنا لمدينة الفارابي وجمهورية أفلاطون وجدت أن.

١) جمهورية أفلاطون قامت أساسا علي إقامة نظام سياسي ونظام للحكم وإصلاح ما أفسده السفسطائيون، أما مدينة الفارابي الفاضلة فقامت علي تبيين عقائد ونظام سلوك للأفراد والجماعات .

١) انظر:المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي للدكتور محمد سيد أحمد المسير ص ١٨٤ وما بعدها

٢) أن جمهورية أفلاطون استوعبت الكثير من المشاكل وأوجدت لها الحلول في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي، أما مدينة الفارابي فقد خلت من ذلك واكتفى بالانتظار حتى يفيض العقل الفعال على الفيلسوف النبي.

٣) طموح كلا من أفلاطون والفارابي إلي الخروج من عالم الواقع إلي عالم الخيال وخاصة في شروط رئيس المدينة أو الجمهورية، كما أن فكرة المدينة الفاضلة كان لها تأثير فيمن جاء بعدهم مثل الشيخ الرئيس ابن سينا في مدينته وجزيرة ابن طفيل ودولة ابن خلدون، كما كان لهم جميعا عظيم الأثر فيمن جاء بعدهم في الفلسفة الحديثة من الغربيين والذين سنتعرض لبعض منهم ممن يمثلون المثالية الحديثة.

الفصل الأول

المثالية المطلقة في ألمانيا عند الفيلسوف الألماني هيجل

الفصل الأول

المثالية المطلقة في العصر الحديث في ألمانيا عند الفيلسوف الألماني هيجل

المبحث الأول

الفيلسوف هيجل حياته وفلسفته

حياته:

هو أحد شوامخ القرن التاسع عشر، وممثلا هاما لتيار الفلسفة الألمانية ومصدرا لمعظم الاتجاهات الفلسفية المعاصرة، فرؤساء هذه الاتجاهات كانوا جميعا أتباع له إنه عبقري الفلسفة المثالية المطلقة إنه هيجل .

هو فيلسوف ألماني ولد في ستتجارت١٧٧٠ م درس في المدينة التي ولد بها وبعد أن أتم دراسته انتقل إلي جامعة توبنجن البروتستانتية ١٧٨٨ م، ثم عين أستاذًا بجامعة ييبنا سنة ١٨٠٥، هناك التقى مع صديقه شلنج، وعمل مع شلنج زمنًا في تحرير صحيفة نقدية في الفلسفة يعبران فيها عن وجهة نظرهما، ثم افترقا لتباين العقلية واختلاف الرأي.في أن الطبيعة لا ينبغي أن تُعد وجودا آخر إلي جانب العقل، ولكنها جزء من حياة العقل نفسه وبعد معركة إيينا رحل إلى جنوب ألمانيا ومكث في نورمبرج ثماني سنوات. ثم عين أستاذًا بجامعة هيدلبرج "١٨١٦" فأستاذًا بجامعة برلين "١٨١٨" حيث بلغ ذروة الشهرة والمجد والتفَّ حوله التلاميذ النابهون.وذلك لما في تفكيره من قوة وعمق، شغل منصبه هذا إلى وفاته، وكانت وفاته بالكوليرا عام ١٨٣١م. (١)

(١) هيجل أو المثالية المطلقة للدكتور زكريا إبراهيم،ص ٣٣ وما بعدها بتصرف،طبعة مكتبة مصر،

أما كتبه الحاوية لمختلف وجهات مذهبه فهي سبعة أولها "فينومنولوجيا الذهن "١٨٠٧" يصف فيه تطور الفرد وتطور النوع أي علم النفس وتاريخ المدنية متداخلين حتى ليصعب أحياناً كثيرة التمييز بينهما. ثم يجيء كتاب المنطق في ثلاثة مجلدات "١٨١٢-١٨١٦" وهو عرض للمعاني الأساسية الميتافيزيقية والمنطقية، . والكتب الباقية تعالج أقسام المذهب "موسوعة العلوم الفلسفية" "١٨١٧" و"مبادئ فلسفة الفقه "١٨٢١" و"دروس في فلسفة الدين" و"تاريخ الفلسفة" و"فلسفة الجمال" نشرت بعد وفاته. أما أسلوبه فغاية في التجريد والتعقيد, حافل بالمصطلحات(١).

فلسفة هيجل

يقول هيجل: "إن الفلسفة دائرة مغلقة تدور حول نفسها "

إن الفلسفة الهيجلية تبدو كبناء متناسق البنيان، ولا يمكن الحديث عن جزء منه دون الإلمام بالبناء النسقي ككل، إنها فلسفة نسقية بامتياز " بحيث لا تعرف نهايتها إلا إذا وصلت إلي البداية كي تكتمل الدائرة، وقد تباينت الآراء في وصف فلسفته، فيصفه الدكتور: زكي نجيب محمود بقوله: "لقد بلغ من تأثيره في تاريخ الفلسفة حدا جعله مصدرا لمعظم الاتجاهات الفلسفية المعاصرة، إما بالتأييد أو بالتفنيد ، وذلك أنك لا تكاد تجد من فلسفات القرن العشرين فلسفة إلا وتبدأ من هيجل مناصرة له في اقل الأحيان، معارضة له في أكثرها " (٢).

---

١) انظر:- تاريخ الفلسفة الحديثة ل وليم كلي رايت، ص ٣٠٩،٣١٠ ترجمة محمود سيد أحمد، تقديم ومراجعة الدكتور / إمام عبد الفتاح إمام/ الطبعة الأولى ٢٠١٠ /ط دار التنوير للطباعة، تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ص ٢٧٦ وما بعدها طبعة دار المعارف، والفكر المادي الحديث للدكتور محمود عتمان ص٦٧.، وقصة الفلسفة الحديثة للأستاذ أحمد أمين والدكتور زكي نجيب محمود،ص ٣٥٩ وما بعدها،الجزء الثاني طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩،وقصة الفلسفة لول ديورانت ص ٣٧٥ وما بعدها ترجمة فتح الله محمد المشعشع موسوعة أعلام الفلسفة ل- روني ايلي ألفا ج ٢ ص ٥٦٩

٢) انظر نحو فلسفة علمية للدكتور زكي نجيب محمود،ص ٣٤٣ ط ١ مكتبة الانجلو ١٩٥٨، نقلا من الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه للدكتور /محمود عتمان ص ٦٧

ويصف الأستاذ أحمد أمين وزكي نجيب محمود فلسفة هيجل بأنها "مثالية وواقعية في آن واحد لأنها وان تكن تعلن أن الفكر أسبق في الوجود، بل تعلن أن الفكر في حقيقة الأمر هو كل شيء، إلا أنها تعترف بأن هذا الفكر قد وجد نفسه في عالم الحقائق الواقعة التي لا يكون لها معنى لو فصلناها عن الفكر، فليست الطبيعة عند هيجل جسما صلبا يحدد الفكر ويعارضه كما كانت عند فخته كلا، ولا هي كما رآها شلنج تسير موازية للعقل، لكنها والمطلق توأمان، نعم إن الطبيعة والعقل قد تفرعا عن أصل واحد، ولكنهما ليسا فرعين متساويين قد انبثقا من جذع بعينه، اذ نشأت الفكرة أولا، ثم نشأ من الفكرة العالم الطبيعي، والفكرة والطبيعة معا يكونان العالم الروحي، وذلك بمعنى أن الفكر هو أول المراحل وآخرها معا، يبدأ الكون بالفكر بالقوة، وينتهي بالفكر بالفعل، وأن عمل الفلسفة هو تتبع الفكر في تطوره وانتقاله من الوجود بالقوة إلي الوجود بالفعل، وأن تعيد في إدراك الإنسان تلك المراحل التي سلكها المنطق وهذه المراحل ثلاث، إثبات الحقيقة لنفسها أولا، ثم تباينها ثانيا، ثم انسجامها ثالثا، وقد وضع ثلاثة أقسام للفلسفة:

١) المنطق الذي يعرض صور الفكر المجردة

٢) فلسفة الطبيعة التي تبسط صور العالم الطبيعي الخارجي الذ ي تجسد فيه العقل لكي يصير حقيقة ملموسة محسة

٣) فلسفة العقل أو الروح التي تعالج المراحل التي يجتازها الفكر من أبسط الصور الفيزيقية إلي الإدراك الكامل ثم إلي اتحاد العقل والطبيعة[١].

إذن تنقسم فلسفة هيجل إلى ثلاثة ميادين معرفية كبرى، كانت محط اهتمام جل الفلاسفة ويتعلق الأمر ب:علم المنطق؛ فلسفة الطبيعة؛ فلسفة الروح؛ وهي ميادين

---

١) انظر: قصة الفلسفة الحديثة للأستاذ أحمد أمين وزكي نجيب محمود ج ٢ ص ٣٦٩ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩

مترابطة في نسق فلسفي متميز يجعل المهتم ينتقل من مستوى إلى آخر ليتمكن من رسم صورة واضحة على هذا النسق الفلسفي. لذلك ففلسفة هيجل هي فلسفة نسقية بامتياز.وتشترك هذه الميادين الثلاث في موضوع واحد، أي إنها تدرس نفس الموضوع لكن في مستويات مختلفة ويتعلق الأمر ب:"الفكرة الشاملة" أو الفكرة المطلقة" أو إن شئنا القول "العقل" في صور متنوعة: "العقل" محضا في المنطق، و"العقل" في حالة تخارج في فلسفة الطبيعة، و"العقل" حين يعود إلى نفسه في فلسفة الروح. ، كما يتفق في هذا الوصف أيضا الدكتور زكريا إبراهيم في كتابه عبقريات فلسفية والذي يدافع فيه عن فلسفة هيجل ضد منتقديه.

وقد وصف الأستاذ يوسف كرم فلسفة هيجل بأنها تتمحور حول الحقيقة النهائية التي هي العقل وأن هذا العقل قوامه الفكر، وأن هذا الفكر يمر بثلاث مراحل حتى يصل إلي الحقيقة، حيث يبدأ بذاتية مجردة ثم يصادف ما يناقضه ثم ينتقل إلي الوحدة التي تضمه وتضم أضداده، إذن الفكر هو عبارة عن وحدة بين أضداد، وليست هذه الحركة قاصرة علي الفكر بل تتناول العالم بأسره وكل شئ يؤيد صحة ذلك الطبيعة والتاريخ والفلسفة "(١).

كما وصف كلي رايت فلسفة هيجل بأنها واقعية وتوجيه ذلك:أن المقولات حقائق واقعية موضوعية أصيلة اكتشفها هو واستطاع أن يحدد علاقة الواحدة بالا خري لأنها أوجه لكل فكر بشري عقلي وإلهي وهي قبلية (أي المقولات) بالنسبة للتجربة البشرية، لأنها تلازم بنية الكون والي هذا الحد يكون هيجل فيلسوفا واقعيا(٢).

---

١) انظر قصة الفلسفة الحديثة ص ٣٦٥ وما بعدها بتصرف، المدخل إلي الفلسفة للدكتور / علي عبد المعطي محمد ص ١٢٠،١٢١،ط دار المعرفة الجامعية

٢) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة ل.وليم كلي رايت،ص ٣٢٩

(تعقيب)

هذه هي بعض الآراء في فلسفة هيجل البعض يراها مثالية والبعض يراها واقعية والبعض يراها مثالية واقعية في آن واحد، وهذا يرجع في نظري ومن خلال قراءتي لهيجل وما كتب عنه إلي العمق والغموض والتجريد والحركة الثلاثية التي يتبعها في فلسفته فتارة يقول لا فكر بدون واقع ولا واقع بدون فكر وأنه لا وجود للمفاهيم المجردة فهو هنا واقعي، وتارة يقول:لابد للمتناهي أن يصل إلي اللامتناهي وان الحقيقة هي الكل المطلق وهو هنا مثالي، وتارة يجمع ما بين الاثنين حينما يقول بالقضية أو الدعوى ثم نقيضها ثم بالمركب منهما حتي يصل إلي المطلق، كما يرجع تعدد الآراء حول فلسفته أيضا إلي المنهج الذي يتبعه فأحيانا يتبع المنهج الوصفي وأحيانا يتبع المنهج التحليلي وفي كل مع المنهج العقلي.

المبحث الثاني

موقف هيجل من علم المنطق ومدى تطبيقه في الواقع

يتبين لنا موقف هيجل من علم المنطق من خلال نقده للمنطق عند من سبقوه من اليونانيين والفلاسفة المحدثين ومحاولة جمعه بين تلك الآراء، فقد رأي هيجل أن المنطق اليوناني هو منهج عقلي يُراد منه الاهتداء إلي الحقيقة عن طريق الاجتهاد في الكشف عن ضروب التناقض الكامنة في حجج الخصم والعمل علي دحضها والقضاء عليها، واحتلت فكرة التناقض عندهم أهمية كبري علي اعتبار أن الفكر البشري في حالة حركة مستمرة، وأن الصراع بين الأفكار هو السبيل الوحيد إلي الكشف عن الحقيقة.

أما الجدل عند كانت: فهو وهم وضعه في مقابل التحليل، أو في مقابل حقيقة التجربة.

أما الجدل عند شلنج : هو المدخل إلي المعرفة المطلقة إلا أن هذه المعرفة تختلط بالحدس [1] أو العيان الحسي، لذلك لم يُسلم شلنج بقدرة الجدل علي تجاوز المتناهي

---

(١) الحدس في اللغة: الظن، والتخمين، والتوهم في معاني الكلام والأمور، والنظر الخفي، والضرب والذهاب في الأرض على غير هداية، والرمي، والسرعة في السير، والمضي على غير استقامة، أو على غير طريقة مستمرة.

والحدس الذي اصطلح عليه الفلاسفة القدماء مأخوذ من معنى السرعة في السير.

قال ابن سينا: «الحدس حركة إلى إصابة الحد الأوسط إذا وضع المطلوب، أو اصابة الحد الأكبر إذا اصيب الأوسط، وبالجملة سرعة الانتقال من معلوم الى مجهول» (النجاة، ص: ١٣٧). وقال الجرجاني في تعريفاته: «الحدس هو سرعة انتقال الذهن من المبادي إلى المطالب»،

وللحدس في الفلسفة الحديثة عدة معان:

١ – الحدس عند (ديكارت) هو الاطلاع العقلي المباشر على الحقائق البديهية. قال (ديكارت):

من أجل الوصول إلي اللامتناهي، ولذلك حاول هيجل الجمع بين تلك الآراء فقال: بأن الجدل ليس مجرد تركيب عقلي محض، بل هو حركة واقعية تتحقق في صميم الواقع، إذن قد جمع هيجل بين جدل الواقع وجدل الفكر معا.

إن المنطق (المنهج الجدلي) عند هيجل هو علم الفكر بقوانينه وأشكاله المتميزة، تلك القوانين التي لا تنبثق إلا من خلال تأمل الواقع الفعلي، أرضه الواقعية. إذن المنطق الهيجلي ليس مجرد علم للقواعد التي تفرض نفسها علي التفكير الذاتي، وليس مجرد تركيب عقلي محض بل هو بمثابة النسيج العقلي للواقع نفسه، هو دراسة باطنية للعقل، فالمنطق عنده هو منطق علاقة بين الكل وأجزائه (جدل تصوري) كما أنه منطق حياة لحركة الطبيعة، فهو قد جمع بين جدل الواقع وجدل الفكر، لأنه يحقق للطبيعة والفكر الانتصار علي شتى العوائق من أجل الاستمرار إلي الأمام حتى تصل إلي المطلق، إذن علم المنطق لا يدرس الفكرة الشاملة فقط، وإنما "علم الفكرة في وسطها الفكري، فالمنطق هو علم الفكرة الخالصة، فالفكرة المطلقة في علم المنطق هي الفكرة بشكل مجرد إطلاقي، تعي ذاتها بذاتها، وتعقل الأمور في نفسها حيث "العقل" هو "العقل .

وقد تبين لهيجل أن المنهج الجدلي هو المنهج الفلسفي الصحيح لفهم الفلسفة، لأنه ليس خارجا عنها، بمعنى أنه منهج وصفي يقوم علي الغوص في أعماق المظاهر المختلفة لحياة البشر الروحية من أجل فهم خبراتهم وإدراك دلالة نشاطهم ، إذن هو الخبرة التي يحصلها الوعي عن ذاته وعن موضوعه وإذا كان المنطق قد

«أنا لا أقصد بالحدس شهادة الحواس المتغيرة، ولا الحكم الخداع لخيال فاسد المباني، انما أقصد به التصور الذي يقوم في ذهن خالص منتبه، بدرجة من السهولة والتميز لا يبقى معها =مجال للريب، أي التصور الذهني الذي يصدر عن نور العقل وحده» (القواعد لهداية العقل، القاعدة ٣).وراجع المعجم الفلسفي الدكتور جميل صليبا (المتوفى: ١٩٧٦م)الناشر: الشركة العالمية للكتاب – بيروت تاريخ الطبع: ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م ١ / ٤٥٢

بدأ بدراسة "الفكرة المطلقة" من حيث هي هي فإنه قد انتهى بها، وفي هذا انتقال إلي ما هو أسمى وليس استخلاصا للأعلى من الأدنى، لكن الأدنى هو الذي يعتمد علي الأعلى في سلسة رأسية وحركة تصاعدية أو هو حركة من الخارج إلي الداخل كما يقول ولترستيس:المقولة التي تكشف عن نقيضه تحتاج إلى تجاوزها داخل دائرة الفكر الخالص، بحيث ننتقل إلى مقولة أعلى، فهي ليست تجريدا من جانب واحد، وإنما هي الكل العيني، هي الحقيقة النهائية. ومن ثم فإننا ننتقل من دائرة الفكر الخالص، أي من دائرة المنطق إلى دائرة الطبيعة، إلي دائرة الروح لأن فلسفة هيجل تدرس "الفكرة المطلقة" في جميع فروعها،

وموضوع المنطق هو بصفة عامة، عالم ما فوق الحس، ودراسة هذا الموضوع تعني البقاء لفترة في هذا العالم حتى يتم الصعود إلى عالم ما فوق الحس[1].

استخدام هيجل المنطق للوصول إلي المطلق:

وعندما يتحدث هيجل عن المنطق ويتناول المطلق ينطلق من نقده لفخته في حديثه عن نظرية المعرفة والتي يقول: إن مهمتها بيان كيفية صدور صور الأشياء عن فاعلية الفكر، إذ لا يمكن أن يوجد في الأنا إلا ما كان أثرا لفاعليته، أي أن المطلق هو الأنا ويحدث اللا أنا لكي يتغلب عليه عن طريق الفعل الحر، وذلك يجعل المطلق أحد طرفي التضاد فلا يكون مطلقا،

وأما المطلق عند هيجل فهو الوجود الواقعي بما فيه من روح لامتناه أو مثال أو عقل كلي أو مبدأ خالق منظم، فهو عيني تماما وليس شيئا منعزلا عن الأشياء

---

١) انظر فلسفة الروح لهيجل ل ولتر ستيس ترجمة إمام عبد الفتاح إمـــام ص ٤٠٤ فقـــرة ٤٠٨ موسوعة العلوم الفلسفية ص ٧٩ فقرة ١٩.،هيجل أو المثالية المطلقة للدكتور /زكريا إبراهيم ص ١٣٢،وما بعده ،١٦٠ بتصرف كبير

الأخرى وأن الطبيعة والفكر حالان له يظهر الفكر في وقت ما من أوقات تطور الطبيعة، لا أنهما وجهان له متوازيان، والوجود متطور، ومهمة الفكر هي الكشف عن الوجود في مبدأه وتسلسل مظاهره، ولإتمام هذه المهمة يجب إتباع منهج منطقي يبين هذا التسلسل يجري فيه العقل علي سليقته في فهم الوجود.

أن هيجل يمضي من الفكرة إلي نقيضها (عملية السلب) ثم ينتقل إلي المركب من الأمرين وهو هنا ينتقل إلي قضية أخرى أكمل منها بمعنى أنه ينتقل إلي تأليف قضية جديدة (عملية التركيب والتأليف) أي يبدأ بالقضية ثم ينفيها ثم ينفي هذا النفي فيكون إيجابا، وهذا الارتداد إلي الإيجاب ليس ارتدادا إلي الإيجاب الأول بل هذا الإيجاب الأخير يمثل قضية جديدة تُعد أكمل من كل من الفكرة ونقيضها، إذن عملية التأليف لا تقل أهمية عن عملية السلب، وقد استخدم هيجل هذا المنطق في تفسيره لشتى ظواهر الطبيعة والتاريخ والدين والفلسفة والفن وكل مظاهر الوجود المختلفة.

أما عن كيفية تطبيق منطق هيجل علي الوجود لفهمه وطريقة تطوره.

يري أن الوجود هو مجرد الإيجاب، أي ما به كل موجود هو موجود، لان الوجود عنده ليس شيئا لأنه قابل لان يكون كل شيء، وتعقل الوجود عبارة عن تعقل اللا وجود في نفس الوقت وهذا هو التناقض بعينه، والموجود حقا هو المركب من هذين النقيضين الممثلين في الوجود واللا وجود وهذا هو مبدأ عدم التناقض الذي يقول به هيجل.(١)

وقد علق علي هذا المبدأ الكثير من الباحثين منهم الأستاذ يوسف كرم فقال:

لكن هذا المبدأ غير صحيح ولا يدركه العقل، كيف يدرك الوجود واللا وجود في نفس الوقت، وتصحيح هذا المبدأ " إن الوجود قابل لأن يكون كل شيء لا معًا

(١) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم ج ١ ص ٢٧٨ /ط ٥ مكتبة الدراسات الفلسفية

بل كلًّا على حدة، فالوجود شيء في كل موجود وبحسب هذا الموجود. فغير صحيح أننا نعقله وجودًا ولا وجودا في الوقت نفسه، وإنما الصحيح أننا نعقله وجود كذا أو كذا من الماهيات، فإن ما ليس وجودًا من وجه هو وجود من وجه آخر. ويقال مثل هذا تمامًا عن العدد في قبوله التعيين بالتناهي أو اللاتناهي، وعن الكم في قبوله التعيين بالمتصل أو المنفصل، وعن سائر المعاني العامة: إن لكل منها مفهومًا، فهو ليس متناقضًا في ذاته، وهو في ذاته بريء من التعيينات جميعًا، ولكنه متى وجد كان هذا أو ذاك منها. والشيء المتغير القابل لأعراض مختلفة، هو ما هو بالفعل في كل آن, وقابل لأعراض أخرى بالقوة تحل فيه متى زالت أضدادها. فليست الصيرورة اجتماع الأضداد أو النقائض، بل الانتقال من ضد إلى ضد بحيث لا يجتمع ضدان، وهذا عين مبدأ عدم التناقض. فالمنهج الذي اصطنعه هيجل عاجز عن تفسير الإيجاد بقوة باطنه كما يريد؛ لأن اللامعين لا يقتضي بذاته تعيينا دون آخر " (١).

كما نقد أيضا هذا المنطق الجدلي الباحث الفرنسي كوجيف فقال: إن منهج هيجل منهج تأملي وصفي بحت وليس منهجا جدليا علي الإطلاق، كما أن تعبيره عن الحقيقة المطلقة ليس إلا مجرد وصف لفظي شامل للديالكتيك الذي عمل علي ظهورها، وما فعله هيجل في عرضه للمذاهب الفلسفية هو تسجيل نتيجة المحاورات أو المناقشات التي دارت بين أفلاطون وأرسطو واسبينوزا وكانت وفشته وشلنج وبذاك خُيل إلي هيجل أنه عاد بالديالكتيك إلي المعنى الأفلاطوني القائم علي الحوار أو المناقشة.

وقد قام بالرد علي هذا النقد الدكتور/ زكريا إبراهيم بقوله: إن المنهج الذي اصطنعه هيجل ليس مجرد عود إلي أفلاطون أو الفلاسفة المتقدمين عليه، وآية ذلك

---

١) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم ج ١ ص ٢٧٨.

أن هيجل قد انعطف علي التاريخ وأمعن النظر في مظاهر صراع التاريخ وتحقق من أن كل فلسفة من الفلسفات إنما تمثل لحظة من لحظات تطور التاريخ وهي صادقة ولكن صدقها نسبي زماني فإنه لابد لفلسفة أخرى جديدة أن تأتي وتبرهن علي ما في تلك الفلسفة السابقة من خطأ، ولكن الفلسفة الواحدة لا تتحول من تلقاء ذاتها إلي فلسفة أخرى جديدة وكأنما هي التي تولدها أ وتعمل علي ظهورها بطريقة ديالكتيكية ذاتية مستقلة، وإنما يتغير الواقع المقابل لهذه الفلسفة فيستحيل هو إلي واقع جديد وعندئذ تنبعث عنه فلسفة جديدة تكشف عما كان في الفلسفة السابقة من تهافت، ومعنى هذا أن الحركة الديالكتيكية لتاريخ الفلسفة إنما هي انعكاس للحركة الديالكتيكية للتاريخ الفعلي للواقع، ولهذا يقرر هيجل أن التاريخ الكلي الشامل إنما هو المحكمة التي تدين العالم، كما يرد عليه أيضا في وصفه للمنهج الجدلي بأنه ليس جدليا علي الإطلاق فيقول: أن هذا الباحث قد أخطأ في فهم الجدل عند هيجل حينما قصره علي فكرة الحوار أو المناقشة فقط، ثم هو يعترف بأن هيجل قد صرح باعتناقه للمنهج الجدلي وجعله أكثر من مجرد منهج للفكر والعرض الفلسفي، ويقول نحن لا نري تعارض بين أن يكون هيجل قد اصطنع الجدل منهجا وأن يكون في الوقت نفسه قد عمق هذا الجدل جاعلا منه شيئا أكثر من مجرد طريقة أو أسلوب للبحث ، إن المنهج الجدلي الهيجلي هو بمثابة منهج شامل أريد له استيعاب كل من الطبيعة والمعرفة وشتى مظاهر الوجود أيضا [1].

١) انظر: عبقريات فلسفية هيجل أو المثالية المطلقة للدكتور / زكريا إبراهيم ص ١٦٨: ١٧٠ بتصرف بسيط، ط مكتبة مصر عام ١٩٧٠.

(تعقيب)

إن من أبجديات علم المنطق معرفة قوانين الفكر التي يقوم عليها علم المنطق، وهي قانون الهوية وقانون عدم التناقض وقانون الثالث المرفوع، وبما أن الحديث عن قانون عدم التناقض فنحن نعلم أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان فكيف جمع هيجل بين النقيضين، وأيضا يقول هيجل بالوحدة بين الأضداد، ومن المعلوم أيضا أن الضدين لا يجتمعان ولكن قد يرتفعان في شيء آخر، فهو كما قال الأستاذ يوسف كرم ينتقل من ضد إلي ضد ولكن لا وحدة بين الأضداد ولا تركيب بين الشيء ونقيضه، إذن هي عملية انتقال وليس جمع أو وحدة أضداد أو سلب فقط وبذلك ينتهي الإشكال، وإن كنت أري أن هذا المنهج ليس من السهل إدراكه أو تطبيقه علي كل مظاهر الوجود .

المبحث الثالث

فلسفة الطبيعة عند هيجل

إن فلسفة الطبيعة عند هيجل تمر بما تمر به جميع الموضوعات التي تناولتها فلسفته وهو قانون الحركة الثلاثية والتي يقول إنها ليست قاصرة علي الفكر وحده بل تشمل العالم بأسره، لأن كل إثبات يتضمن نفيا وكل نفي يتضمن إثبات، وها هو قلب فلسفة هيجل وصميمها، إذن يطبق هيجل منطق التناقض أيضا في فلسفة الطبيعة كما هو موجود في الفكر بدليل الأجرام السماوية من حيث حركتها وتغيرات الظواهر الطبيعية وتقلبات الأحوال الجوية فهي لا تقل تناقضا عن حركات الأهواء البشرية وتغيرات الظواهر النفسية وتقلبات الأمزجة الشخصية، ولذلك يقول هيجل: "إن التناقض هو مبدأ كل حركة وكل حياة وكل تأثير فعال في عالم الواقع " ففلسفة الطبيعة هي التي تبسط صور العالم الطبيعي الخارجي الذي تجسد فيه العقل لكي يصير حقيقة ملموسة محسة.(١)

إن الطبيعة عند هيجل تظهر عندما يباين الروح المطلق نفسه فهي مظهره الخارجي الذي يعارضه وينافيه وهي تمثل النقيض المباشر للكلية (القضية) أي للمنطق، وبما أنها كذلك، فإنها جزئية وسلبية، ففي "فلسفة الطبيعة"، الفكرة المطلقة / الشاملة تخرج من ذاتها إلى الآخر. إنها "العقل" في حالة تخارج، نقيض حالتها الأولى وبالتالي ف "العقل" يغدو "لا عقل" أو "اللامعقول" فالطبيعة ليست إلا عقلا في صورة مبهمة غامضة حتى لتبدو كأنها لا عقل، وفلسفة الطبيعة تبدأ بمقولة المكان الفارغ، كما بدأ المنطق بالوجود مستنبطا من العدم، فالمكان في الطبيعة عدم، تجريد وفراغ كاملين، فهو"ليس له في ذاته أي طابع ولا مظهر ولا تحديد من أي نوع إنه اللا صورة" نتحدث عن المكان كجزء من مثلث ضلعاه الآخران: "الزمان"

(١) المنطق وفلسفة الطبيعة للفيلسوف الإلماني هيجل ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح

و"المادة" وهو الحد الأدنى في الطبيعة، أما حدها الأقصى، فهي نهايتها، انتقالها إلى الروح حيث تعود "الفكرة الشاملة" إلى ذاتها نفسها) أن الطبيعة تنقسم عنده إلى ثلاثة لحظات في تطورها:

١) الآليات أوالميكانيكا: أو ما يسمى فيما بعد "علم الميكانيكا."وهي الطبيعة في ذاتها.

٢) الطبيعيات أو الفيزياء: علم الفيزياء والطبيعة. وهي الطبيعة لذاتها.

٣) العضويات: وهي ثلاثة مراحل: * الكائن الحي البيولوجي (علم البيولوجيا) * الكائن الحي النباتي * الكائن الحي الحيواني. إن الكائن الحي أو الذرة الحية، هي مفتاح المرور إلى "فلسفة الروح وهي الطبيعة في ذاتها[١]

أما عن كيفية ظهور الطبيعة وتطورها:

إن العقل الخالق، كالعقل المتصور في الإنسان، يبدأ بما هو أكثر تجردًا وأقل إدراكًا، أي: بالمكان والمادة. المكان موجود وغير موجود، والمادة شيء وليست شيئًا، مثلهما مثل الوجود الذي في المنطق. هذا التناقض هو مبدأ التطور الطبيعي والقوة الدافقة، وهو ينحل في "الحركة" التي تقسم المادة إلى وحدات متمايزة وتكون منها السماء، إن تكوين الأجرام السماوية بمثابة الخطوة الأولى التي تخطوها الطبيعة في طريق التشخص. توزع المادة وانتظامها في السماء يمثلان مقولات الكم, والنزوع المنبث في الطبيعة يبدو في الجاذبية التي تحقق فكرة التناسب, وتجعل من العالم جسمًا حيًّا. فالسماء مجتمع ابتدائي يشبه من بعيد المجتمع الإنساني.[٢]

(١) هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية، ترجمة، د. إمام عبدالفتاح إمام، دار التنوير، بيروت٢٠٠٥ ١/ ٣٥٤

(٢) هيجل دراسة وتحليل في الفلسفة المعاصرة كامل محمد محمد عويضة س ٥١

وتتنوع المادة تنوعًا كيفيًّا، فيظهر النور، تعارضه الحرارة، فينحل هذا التعارض في الكهرباء، فيظهر من الكهرباء الكيمياء بعناصرها المتقابلة، فتتفاعل هذه العناصر ثم تأتلف في المركبات. فعلما الطبيعة والكيمياء يدرسان الاستحالة الباطنة, والتغير الجوهري.

ثم تظهر من القوى الفيزيقية والكيميائية الكائنات الحية التي هي مجاميع مركزة. لا بمعنى أنها وليدة المادة والآلية فحسب, ولكنها وليدة تطور المثال أو الروح بواسطة المادة. ويلقى الكائن الحي معارضة من الطبيعة الخارجية، فيثبت فرديته أو يحقق مثاله بالتمثيل المتصل والتنفس والحركة الحرة. وأدنى صور الحياة النبات، وهو بدن ناقص، وهو عبارة عن أعضاء كل منها فرد، فهو ضرب من تبديد الحياة في هذه الحيوات الابتدائية المنفصلة المتجانسة إلى حد كبير الحاصل كل منها على قوة الحياة على حدة. ثم تتحقق الفردية في الحيوان، فإن أجزاءه أعضاء بمعنى الكلمة أي: خدام الوحدة المركزية، (المخ)وهي عبارة عن أنظمة منوعة، كالنظام العصبي والدموي وما إليهما؛ وهنا أيضًا درجات؛ فإن الحيوانية تترقى بالتدريج على رسم واحد إلى أن يصل الروح الخالق إلى جسم الإنسان، فيقف عنده من حيث المادة، ويغدق عليه الكنوز الروحية. وفي كل هذا الوصف يستخدم هيجل المعارف العلمية من وقت أرسطو إلي وقته، ولا يصنع أكثر من أن يرتبها الترتيب الثلاثي كما يقتضي منهجه، ويسلسل بعضها من بعض كما يقتضي مذهبه الأحادي.

المبحث الرابع

فلسفة الروح عند هيجل

إن فلسفة الروح عند هيجل تعد من أعقد المسائل في فلسفته حيث توجد تقسيمات ثلاثية متعددة ومتداخلة يصعب على الذهن الاستمرار في متابعتها إلا بعد جهد جهيد وتركيز عال ونستطيع أن نطلق عليها الفلسفة المثالية المثلثة، وتعد أطولها حيث أفرد لها كتابا كاملا بهذا الاسم فلسفة الروح (فينومينو لوجيا الروح) وسنتحدث عنها في إيجاز قدر الجهد والطاقة.

إن فلسفة الروح تعالج المراحل التي يجتازها الفكر من أبسط الصور الفيزيقية إلي الإدراك الكامل، ثم إلي اتحاد العقل والطبيعة للوصول إلي المطلق، وهو يقسم الروح إلي ثلاثة أقسام:-

أولا- الروح الذاتي:-

يدرس الروح الذاتي بالأساس العقل البشري من الناحية الذاتية أي كعقل فردي أو عقل الذات الفردية، أ والتعاقب الذهني لأشكال الوعي علي مستوى الفرد، ويمر الروح الذاتي في تطوره بثلاث مراحل هي:

أ) **الوعي الحسي:** ويكون موضوعه المحسوس، حيث أن جميع الأشياء في الطبيعة يحدث لها وعي حسي بين الموضوع والمعرفة وقد عرفنا منذ قليل أن الطبيعة هي المظهر الخارجي للروح المطلق الذي يعارضه، وعندما يعارض الروح المطلق الطبيعة ويميل بالضرورة أن يتغلب علي هذا التعارض ليستعيد نفسه بمعرفة نفسه، فقد انطلق هيجل من الخبرة الأولية للوعي البشري، تلك الخبرة المندمجة في العالم المصطبغة بالصبغة الاجتماعية، لأن الإنسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة، وفي هذه الحالة ينعدم التمايز بين الحقيقة الموضوعية والأوهام الذاتية، ويحدث التناقض الذي يزعزع من ثبات اليقين الحسي نتيجة التحويلات

الفيزيائية أو جانبها السلبي ثم الحساسية كجانب إيجابي وسلبي في آن معا، ويظهر الشك في أدنى صورة من صوره فيحدث السلب أو النفي، وهنا يبدأ الوعي في محاولة إيجاد علاقة بين الذات والموضوع، ثم يترقى الوعي حتى تتمايز الذات عن الموضوع ، وحين يصل إلي تلك المرحلة يكون قد كشف جانبا من التعارض، لأنه لو لم يكن التعارض لما كان هناك وعي بالطبيعة.

يقول هيجل: "إن الشيء هو نسيج من المتناقضات بمعنى أن التعارض البطن في الشيء هو الذي يربطه بما عداه من أشياء وكأن الشيء هو في صميمه مجرد عملية ترابط أو اتصال، وهذا الترابط هو انكسار لاستقلال الشيء "(١).

هنا يحاول الفرد أن يحقق مثلا أعلي لم يكن له أي وجود إلا في ذاته). وما دام الوعي الحسي يقتصر فقط على ما هو محسوس ظاهري في الشيء، فإنه بذلك ناقص وسلبي، يستدعي ظهور نوع آخر من الوعي، ألا وهو الإدراك، وهو كذلك حسي وهو الإدراك الحسي وهي المرحلة الثانية من مراحل الروح الذاتي.

ب) **الإدراك الحسي:** وهو الذي يكشف عن تناقض ذاتي (بين الكلي والفردي) حيث أن الشيء موجود لذاته ويوجد لغيره في نفس الوقت، ومن هنا تظهر ضرورة وجود نوع أعلى منه وهو الفهم. ويظهر الفهم كما قلنا من تناقض الإدراك الحسي، فيدرك الفهم أن للأشياء ظاهر وباطن، ولذلك ينقسم العالم إلي عالم الظواهر وعالم ما فوق الحس (الإله المفارق) وعالم ما فوق الحس عندما يعي العالم الخارجي فإنه لا يعي إلا ذاته بمعنى أن الوعي بالأخر يصبح وعيا بالذات في الآخر، وما دام الوعي قد نجح في الوصول إلي ذاته من خلال موضوعه فإنه يصبح وعيا بالذات، إذن العالم ما هو إلا مرآة يكتشف فيها

---

١) انظر:عبقريات فلسفية هيجل أو المثالية المطلقة، للدكتور زكريا إبراهيم ص ١٧٥ وما بعـــدها بتصرف.

الوعي ذاته ويكون موضوع الوعي بالذات هو الحياة التي هي روح العالم التي تحمل كافة مظاهر الاختلاف، كما أنها في الوقت نفسه صميم وجودها الملغي، وتعود وحدة الذات في صميم الاختلاف المطلق ". ويضيف هيجل في إطار تعريفه للوعي قائلا: " ...ذلك أن الوعي يدرك شيئا ما، وهذا الموضوع هو الماهية، أو هو الشيء في ذاته، ولكنه أيضا الشيء في ذاته بالنسبة إلى الوعي... فنحن نرى أن الوعي له الآن موضوعان:

أحدهما هو الشيء الأول في ذاته وآخرهما هو الكون للوعي لهذا الشيء في ذاته. هذا الموضوع الأخير يبدو للوهلة الأولى أنه انعكاس للوعي في [مرآة] نفسه: تمثل منه لا لموضوع بل لمعرفة بالموضوع الأول ليس إلا. بيد أن الموضوع الأول يتغير في خلال هذه الحركة، فلا يعود هو الشيء في ذاته بالنسبة إليه، بحيث يغدو ذلك الكون لهذا الشيء في ذاته هو الحق" [1] وهنا تأتي المرحلة الأخيرة من مراحل الروح الذاتي وهي:

ج) الوعي بالذات (الحياة)

والوعي بالذات ليس هو معرفة الآخر فقط بل يتجاوزه ليكون وعيا عمليا، ثم يحدث التناقض بين الوعي لذاته باعتباره كائنا في هذا العالم من جهة والوعي للعالم من جهة أخري وهنا يبرز دور العقل مؤلفا وجامعا بين الوجود والفعل مكونا وحدة الحياة (الجوهر) وهذه الفكرة الشاملة المطلقة هي الماهية البسيطة للحياة التي تحمل كافة مظاهر الاختلاف.

وهنا يقرر هيجل أن هذا الازدواج شريعة كل وعي ذاتي، والعقل هنا هو عقل بالقوة ثم يتحول إلي عقل بالفعل أي عقل متحقق أصبح العالم فيه ماثلا بطريق مباشر والروح موجود وهو جوهر العالم، إن العقل هو وحدة الوعي الحسي والوعي

---

١) فلسفة الروح ل ولتر ستيس،ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح، ص. ١٢٨ وما بعدها

الذاتي، أي وحدة الحالة التي يكون فيها الموضوعي الذاتي مستقل ومتميز عن الذات ونقيضه الذي يصبح فيه الموضوع متحد مع الذات في هوية واحدة. هذا فالعقل كمبدأ وحدة الضدين، يتضمن تمييز الموضوع عن الذات ومتحد معها في وقت واحد إنه "الهوية في التباين" أو "الوحدة في الاختلاف."[١]

نخلص من ذلك إلي أن الروح الذاتي يعبر عن التعاقب الذهني لأشكال الوعي علي مستوى الفرد، فيبدأ بالوعي الحسي وموضوعه المحسوس، ثم الإدراك الحسي وموضوعه الذات، ثم يأتي الفهم ليؤلف بين القضية ونقيضها، ليخرج بالنتيجة التي هي الوعي بالذات (الحياة) [٢]

ثانيا – الروح المغترب عن ذاته:ــ

ولما جاء العصر الروماني تبدل الحال وحل الانفصال والتمزق محل الوحدة، عندما بدأ الفرد في الاهتمام بذاته ولذاته محل اهتمامه بالدولة، وجاء القانون الروماني ليقنن وضع الإنسان في هذا المجتمع الجديد الخالي من أي مضمون، وأصبح الفرد يهتم بالعمل علي صيانة ملكيته الخاصة، وأصبح الروح الكلي في مقابلها وحل الصراع بين الفرد والدولة المتمثلة في الإمبراطور، وبدأت حالة اغتراب الوعي الذاتي عن الروح الكلي، والذي عمل الفرد علي إسقاطه وعمل علي خلق عالم روحي توهم أنه الكفيل بتوثيق العلاقة بين وعيه من جهة، وماهيته الخاصة من جهة أخرى، ومن هنا نشأت فكرة العالم الأخر أو عالم ما فوق الحس وهو بمثابة تعويض عن إحساس الوعي الفردي بخواء وجوده الواقعي في هذه الحياة، وقد كان هذا الاغتراب الديني مكمل لحالة الاغتراب الاجتماعي، وكان ظهور المسيحية استجابة طبيعية لهذه الحاجة النفسية التي استشعرها الوعي الفردي

(١) انظر:عبقريات فلسفية هيجل أو المثالية المطلقة،للدكتور زكريا إبراهيم ص ١٧٩

(٢) قصة الفلسفة الحديثة للأستاذ / أحمد أمين والدكتور / زكي نجيب محمود،ص ٣٧١.

حين أحس بغربته في هذا العالم، وهنا ينتقل إلي المرحلة الثالثة للروح الموضوعي وهي مرحلة الروح المتيقن من ذاته[١]

ثالثا – الروح المتيقن من ذاته

وهو روح تسامى بذاته إلي مستوى يعلو عن الروح الجوهري أو الموضوعي أي معرفة بالذات، ولا يصل إلي معرفة ذاته إلا بعد أن يجتاز مرحلة النظرة الأخلاقية للكون، وذلك من خلال الروح الفردية التي كانت تملك جوهرها خارجا عن ذاتها، وهي الآن ستحمل هذا الجوهر في ذاتها، لأن حالة الاغتراب ستزول عن الجوهر ويصبح الجوهر هو الواجب المحض، لأن الذات تنشد نفسها وتكون معرفتها لنفسها هي موضوعها الأوحد، ولا يعبر عن ذلك إلا النظرة الأخلاقية إلي العالم من خلال الواجب المحض (الروح المطلق) ، أما عن حديث ولتر ستيس عن الروح الموضوعي عند هيجل فكان كالتالي:-

وتنقسم فلسفة الحق إلى ثلاث ميادين كبرى: الحق المجرد: ويتضمن: الملكية والعقد والخطأ.

الأخلاق الفردية أو أخلاق الضمير: وتتضمن الغرض والنية والرفاهية والخير والشر.

الأخلاق الاجتماعية أو الحياة الاجتماعية (الحياة الأخلاقية) وتتضمن: الأسرة والمجتمع المدني والدولة. ويشكل هذا القسم الأخير جوهر الفكر السياسي الهيجلي[٢]

(١) قصة الفلسفة الحديثة للأستاذ / أحمد أمين والدكتور / زكي نجيب محمـــود،ص ٣٧١: ٣٨٩، بتصرف

(٢) هيجل أو الفلسفة المثالية للدكتور زكريا إبراهيم ص ٢١٣ وما بعدها

إن الفلسفة الهيجلية تبدو كبناء متناسق البنيان، ولا يمكن الحديث عن جزء منه دون الإلمام بالبناء النسقي ككل، إنها فلسفة نسقية بامتياز، وهذا ما حاول هذا العرض أن يقدمه. (١)

(١) انظر: فلسفة الروح ل ولتر ستيس،ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح،ص. ١٢٨ وما بعدها طبعة دار التنوير، هيجل أو الفلسفة المثالية للدكتور زكريا إبراهيم ص ٢١٣ وما بعدها قصة الفلسفة الحديثة للأستاذ / أحمد أمين والدكتور / زكي نجيب محمود،ص ٣٧١: ٣٨٩، بتصرف، وتاريخ الفلسفة الحديثة ل وليم كلي رايت ص ٣٢٩ وما بعدها،وقصة الفلسفة الغربية للدكتور / يحيى هويدي ص ٥٩:٦٩ ط دار المعارف عام ٢٠١٦

المبحث الخامس

موقف هيجل من طبيعة الدين والمعرفة المطلقة

الدين عند هيجل هو: عبارة عن تجل للمطلق في إطار الفكر التصوري.أو هو الحضور الحي اللامتناهي في المتناهي.أو هو الوعي الذاتي بالروح المطلق علي نحو ما يتصوره الروح المتناهي.

ويري هيجل أن الديانة الوحيدة التي تتفق مع فكرة الدين هي الديانة المسيحية، لأن في هذه الديانة يتحقق الاتفاق بين الله والإنسان تحققا كاملا، وتربط بين جميع العناصر الجوهرية في فكرة الدين، أما في الديانات الأخرى فتظهر هذه اللحظات منفصلة ومنعزلة. أذن الدين مرحلة ضرورية في التطور الجدلي للروح، إذن وجوده ليس محض صدفة وليس وسيلة بشرية خالصة، وإنما هو عمل ضروري من أعمال العقل في العالم وهو تجل ضروري وحقيقي وصحيح للمطلق.(١)

مراحل الدين:

للدين عند هيجل ثلاث مراحل كبرى هي:

الديانة الطبيعية – الديانة الفردية الروحية – الديانة المطلقة أو المسيحية

أولا:- الديانة الطبيعية وتطلق على الدين الذي يقول: إن العقل وحده قادر على أن يقود الإنسان إليه دون مساعدة من الوحي، وأن الله هو مادة أو قوة طبيعية ويعني بذلك جميع الديانات التي لم تستطع فيها الروح السيطرة بعد علي الطبيعة، وأول ما يوجد الدين الطبيعي يوجد علي صورتين:-

(١) وتاريخ الفلسفة الحديثة ل وليم كلي رايت ص ٣٣٣

الصورة الأولي:- صورة الديانة المباشرة أو السحر وهي الصورة التي لا يوجد فيها انفصال بين العقل الكلي (الله) والعقل الجزئي (الإنسان) وحينئذ لا يوجد الدين إلا في هذه الصورة الفجة وهي السحر

الصورة الثانية ديانة الجوهرية

وفي هذه المرحلة يُتصور الله علي أنه جوهر، لان الإنسان يشعر بأنه هو هذا الوعي التجريبي الجزئي فحسب، أما الكلي فيجعله في مواجهته وهو الكلي المجرد الخالص وقد ابتلع الجزئي، وأن كل الجزئيات في الطبيعة عدم أمام هذا الكلي، وهذا الكلي هو الوجود المطلق وكل وجود آخر يعتمد عليه ينشأ عنه ثم يختفي فيه وهذا الوجود هو الجوهر وأن هذه التحولات هي أعراضه، ومثل هذا الدين يعبر عن مذهب وحدة الوجود، وهذه الديانة يمثلها الديانة الصينية والديانة الهندوسية والديانة البوذية، وتجتمع هذه الديانات في تحديدها لله بأنه جوهر وله ثلاث سمات هي:

١) ما دام نشاط الجوهر هو القوة فإن الله هو القوة المطلقة،

٢) ما دام العقل المتناهي عرضا للجوهر وقد ابتلعه الجوهر وبالتالي فإنه عدم وليس له حقيقة، وليس له وجود مستقل إذن ليس حرا فالروح البشري لا تزال مقيدة.

٣) لهذا السبب فإن هذه الديانات ترتبط بالحكم الاستبدادي في مجال السياسة، فالمؤسسات السياسية لشعب من الشعوب تقابل باستمرار تصوراته الدينية، فعن طريق التصور الروحي السامي لله وحده يمكن أن تكون هناك قوانين خيرة وحكومة، ولا توجد الحكومات الحرة إلا عند الشعوب التي تؤمن بدين الحرية، والشعوب الحرة في أعماق وعيها هي التي تعرف الله علي أنه روح حر[١] .

(١) فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي دراسة مقارنة بالمدارس الغربية الحديثة والمعاصرة تـــأليف عبدالحميد صائب دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، صـــ ٥٦

المرحلة الثانية من مراحل الدين الديانة الفردية الروحية:-

وفي هذه المرحلة يصبح الله روحا علي نحو لا يرقى إليه الشك، لكنها روح لم تتطور بعد تطورا كاملا ولم تصبح روحا عينية تماما، وتتمثل هذه الديانة في الزرادشتية والديانة السورية والديانة المصرية، وتتفق جميع هذه الديانات في أن الله ليس روحا حقيقيا حتى الآن إلا أنه بدأت تظهر ملامح متزايدة لفكرة الروحانية وهي تظهر بطريقة متقطعة على أنها لحظات منعزلة للروح، وتصورتها تلك الديانات بطريقة رمزية حسية، إذن هناك عناصر متفرقة لابد لها أن تتحد وتتجمع في فكرة متعينة واحدة للروح وفي الارتفاع بالروح والسمو بها علي كل تجسيد حسي، وينتقل الله من الجوهر إلي الروح ولن نفهم معنى طبيعة الروح فهما كاملا إلا في الديانة المسيحية

المرحلة الثالثة من مراحل الدين الديانة المطلقة أو المسيحية:-

وفي هذه المرحلة يصبح الله روحا عينيا وهو وفقا للحظات الفكرة الشاملة.

١- الكلي الذي ينشطر في

٢- الجزئي الذي يعود ويتحد من جديد مع الكلي في

٣ – الفردي والكلي بمعنى عام جدا هو الفكرة المنطقية وهي تظهر في فكرة التمثل المسيحي علي هيئة الله كما هو في ذاته قبل أن يخلق العالم، والخطوة الثانية هي أن يصبح الكلي جزئيا أي أن يخلق الله العالم أو الطبيعة بما في ذلك الإنسان إلي الحد الذي يكون فيه الإنسان متناهيا وجزءا من الطبيعة، ثم يعود الجزئي إلي الكلي في النهاية وتلك هي الكنيسة، وهو الكلي العيني الذي يخرج الجزئية ويضع لنفسه غايات محددة ومن هنا فإن الله الآن هو الحكمة، والديانة المطلقة هي الديانة الحقة لأن مضمونها هو الحق المطلق وتعرضه في صورة حسية علي هيئة تمثل، وبما أن المسيحية تتضمن الحقيقة المطلقة فهي دين الوحي والكشف، لأنها الدين

الذي يكشف فيه الإله عن نفسه تماما بوصفه روحا عينيا فهو يظهر بطبيعته الكاملة علي هيئة تمثل في عقيدة التثليث، لأن في المسيحية ذلك السر العجيب الذي يلائم بين النهائي واللانهائي بين الإنسان وخالقه، ولقد تم ذلك التوفيق في شخص المسيح، لأنه إنسان إلهي.

يقول هيجل: " أراد الله أن يحقق وجوده ويقرر ذاته فخرج من نفسه وتجسد في الإنسان، ثم عاد إلي نفسه مرة أخرى ، هذه هي الحقيقة التي عبر عنها المسيح وضرب لها مثلا بنفسه فمات لتحيا بموته الإنسانية، فواجب حتم علي كل فرد أن يحذو ذلك الحذو الصالح القويم ن إذ لا سبيل لتقرير الذات إلا بإنكارها، إذا لم تقع حبة القمح في الحقل ثم تموت فستظل وحدها ولن ينمو للقمح منها نبات.

ولإثبات حقيقة المسيحية لا يحتاج إلي المعجزات بل ينكرها تماما لأنه يرى أن المعجزات شيء تدرك الحواس حدوثه إذن فهي حادثة خارجية، أما الحقيقة الروحية فهي تعتمد على أساس من ذاتها، وإذا جعلنا الحقيقة الروحية تعتمد علي المعجزات فإننا نهبط بها إلي مرتبة أدنى من الروحية، وأن البرهان الوحيد علي الحقيقة الروحية هو شهادة الروح علي نفسها وهذه الشهادة تتمثل في عدة صور(١).

ولكنه لا يمكن أن يظهر بين جماهير الناس إلا بصورة واحدة فقط هي صورة الوجدان أو الاستجابة الغريزية للروح لما هو حق ونبيل، أما في الوعي المتحضر تماما فإن شهادة الروح سوف تصبح فكراً– أعني أنها ستصبح الفلسفة بذاتها.

فقد بدأ هيجل فكره فكرة الموجود الكامل في الذهن. ولذلك فهو يتحدث عن الدين كشعور وبذلك يحاول أن ينسج مجالا للدين بين علم عصره والتصوف. لأن

---

١) انظر: فلسفة الروح ل ولتر ستيس، ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح إمام، المجلد الثاني ص ١٧٣: ٢٠٠ بتصرف، طبعة دار التنوير، وتاريخ الفلسفة الحديثة ل وليم كلي رايت ص ٣٣٣، وقصة الفلسفة الحديثة للأستاذ يوسف كرم ص ٣٨٥

كلاهما ينفي إمكانية الوصول إلى الله بواسطة العقل، إن هيجل قد أفلح في إقامة فلسفة فسيحة الأرجاء رفيعة العماد قائمة على فكرة رئيسية واحدة مطبقة بمنهج واحد.

لكن هيجل قد أخفق في بيان إمكان معرفة الوجود معرفة أولية كما يحتم مذهب وحدة الوجود. وكان لا بد أن يخفق، إذ إن الطبيعة إحدى الصور الممكنة للوجود، فرفعها هو إلى مقام الصورة الضرورية، وأنى لمنهج كائناً ما كان أن يقلب الممكن ضروريًّا ؟[1]

وتكمن عبقرية هيجل رائد المثالية المطلقة ومؤسس المثالية الجدلية الألمانية في القرن التاسع عشر ــ في تجاوز العقلانية التجريدية على منوال كَانْت، فقد توصل إلى بلورة فلسفة جديدة تعد بمنزلة ختام لكل فلسفة سابقة عليه، فأقام مثالية تعدّ الوعي سابقاً على المادة.

فقد وجد هيجل أن الفكر هو المبدأ الحقيقي الكلي للطبيعة وللروح، ويقصد بالروح العقل أو الفكر البشري، فالكون يدل على جملة الصفات المنطقية المعقولة التي يتحلى بها كل واقع حقيقي، والطبيعة هي تجلي الواقع في الكائنات العضوية، والروح هي الاتجاه الباطني لنشاط هذا الواقع.، إن جوهر الحقيقة روحي، والروح لا تستطيع أن تدرك نفسها إلا في علاقتها بعنصر مادي موضوعي، وهذا هو علة وجود المادة أو كما قال هيجل: «المادة مظهر تتبدَّى به الروح».

وهكذا بلغ العقل الغربي ذروته على يد مفكري الفلسفة المثالية الألمانية وخاصة كَانْت وفخته وشلنج وهيجل، وحل محل العقل اللاهوتي الغيبي المسيحي بصفته المرشد الأعلى للبشرية، ولذلك قال بعضهم إن الفلسفة المثالية الألمانية ما

---

١) تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ١ / ٢٨٧، ومحاضرات في فلسفة الدين لهيجل ترجمة الدكتور / حسن حنفي ص ٤١٣

هي إلا علمنة للإصلاح اللوثري: أي للدين المسيحي في نهاية المطاف، وعلى هذا النحو حلت الفلسفة محل الدين، وسيطرت على الفكر الأوربي، كما امتد تأثيرها حتى القرن العشرين.(١)

تعقيب

لقد كان هم هيجل الوحيد أن يفهم العالم كما هو، وأن يفسر كل شئ تفسيرا منطقيا، وقد قال عنه أتباعه:أن النتائج التي توصل إليها ستبقى طوال الزمن هي الحقيقة النهائية في الفلسفة، فالحقيقة هي الكل بمعنى أن كل طور من أطوار الحقيقة يتضمن بقية الحقيقة كلها بلا التباس أو عدم اتساق ، وهذا يبرهن علي أن الحقيقة هي الكل، كما أن المطلق عنده تستطيع العقول البشرية أن تفهم العقل والفكرة أو المطلق، لأن بنية العالم تنسجم مع أذهاننا التي هي أجزاء عضوية فيه، ولذلك من الأفضل أن نسمي الواقع النهائي بالفكرة المطلقة، وتلك الفكرة المطلقة هي الروح أو نفس العالم التي تفكر وهي المقولات والتي يشير إليها الدين علي نحو مجازي بأنها الله.

لقد أراد هيجل أن يُطوع الفلسفة لخدمة معتقده في التثليث في المسيحية الإنسان، الله، المسيح الناسوتي اللاهوتي اتحاد الأضداد وانسجامها، إذن المسيحية هي الديانة الحقة في نظره، والحركة الثلاثية التي افتعلها في فلسفته تعبير عن عقيدة التثليث في المسيحية ومحاولة لتبريرها وللرد علي من يعترض كيف يكون الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، فقال بالمركب من النقيضين _ القضية ثم النقيض ثم المركب منهما – والتي تعادل الله – الإنسان –المسيح الإنساني الإلهي، ومناصرة مذهب وحدة الوجود، علي الرغم من أن هذه العقيدة باطلة بيّن بطلانها الدين الخاتم في قوله تعالي (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ

١) الموسوعة العربية المجلد السابع عشر، ص ٧٤٢ ،الموقع https://www.arab-ency.com/ar

يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[1] ، وهذه الآية كافية في الرد علي تلك العقيدة الباطلة.

١) سورة المائدة، آية ٧٣

الفصل الثاني

المثالية المطلقة في الفلسفة المعاصرة في انجلترا

الفصل الثاني

المثالية المطلقة في الفلسفة المعاصرة في انجلترا

المبحث الأول

فرنسيس هربرت برادلي حياته وفلسفته

إذا كان هيجل يمثل قمة المثالية في ألمانيا، فإنها حينما انتقلت وظهرت في انجلترا أصبح لها أتباعها الذين صاروا قمة لها في انجلترا منهم فرنسيس هربرت برادلي فمن هو ؟.

حياته:- فيلسوف إنجليزي من أتباع المثالية المطلقة ولد في سنة ١٨٤٦ ابنا لأحد رجال الدين وهو تشارلز برادلي وتوفي سنة ١٩٢٤، تعلم في كلية الجامعة بجامعة أكسفورد وانتخب زميلاً لكلية (مرتون) لمدة لا تنتهي إلا بالزواج. فلم يتزوج حتى مماته وقد كانت صحته معتلة دائما، تخرج في جامعة أكسفورد, وصار أستاذًا فيها ينزع نزعتها وبعد وفاته بقليل حصل علي وسام الاستحقاق من الدرجة الأولي وهو أعظم لقب يحصل عليه فيلسوف انجليزي وقد تأثر بكتب جرين وهيجل ولوتزي. وهو مؤسس المثالية في انجلترا[١]

مؤلفات برادلي

لم يكتب برادلي كتبا كثيرة، فقد كتب خمسة كتب وعدة مقالات.، وكان أول كتبه كتاب مسلمات التاريخ النقدي، وكان أول كتاب مهم له "دراسات أخلاقية" "عام ١٨٧٦فيه نقد بارع لمذهب اللذة في الأخلاق، وفي موضوع الأخلاق: ويرى أن وظيفة علم الأخلاق (ليست أن تجعل العالم أخلاقياً، بل أن تجعل من الأخلاق

(١) مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة، دراسة في ميتافيزيقا برادلـــي: د / محمـــد توفيق الضوى، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية صـــ ١٥، ١٦.

السارية في العالم نظرية وأردفه بكتاب "مبادئ المنطق" "عام ١٨٨٣حلل فيه مسائل الاستدلال والحكم وعرض نظرية المعرفة؛ وبعد عشر سنين نشر كتابه الأكبر "الظاهر والحقيقة" عام ١٨٩٣أجمل فيه مذهبه في الوجود، وفي هذا الكتاب سعى برادلي للنظر إلى العالم ككل.، وقد ضمن كتبه الثلاثة مبادئ المنطق الذي ظهر عام ١٨٨٣، والظاهر والحقيقة عام ١٨٩٣، ومقالات في الصدق والحقيقة عام ١٩١٤، ضمّنها جل فكره الميتافيزيقي وكانت جميع هذه الكتب مكتوبة بأسلوب واحد يتسم بكونه مفرطا في الذاتية والتوتر، ومليئاً بالحكم اللاذعة والاستعارات الشعرية التي كانت الوسيلة الطبيعية للسان لاذع وخيال متأجج.(١)

فلسفة برادلي وبيان مدى تأثره بهيجل

يذهب كثير من الباحثين والمفكرين إلي وصف فلسفة برادلي بأنها هيجلية، وأنه متأثر بها كثيرا وذلك لقرب الفلسفتين من الواقعية، ومن حيث الموضوع المُتناول وهو المطلق، وممن وصفه بذلك الأستاذ يوسف كرم بقوله: " كان برادلي أبرع وأعمق ممثل للهيجلية وإن يكن نبذ مذهب هيجل بما هو كذلك في وقت مبكر,"

وأما الدكتور محمد توفيق الضوي يقول: " وتقول عنه موسوعة جمعية أكسفورد للفلسفة " إنه بلا منازع أعظم الفلاسفة البريطانيين في الفترة ما بين جون ستيوارت مل وبرترآندرسل، وتعتبر فلسفته مثالا حيا علي توجه بعض الفلاسفة البريطانيين نحو الفلسفة المثالية الألمانية وبالتحديد فلسفة هيجل، خارجين بذلك عن تراث الفلسفة التجريبية البريطانية، ولكن بالرغم من هذا فإن برادلي يعتبر أكثر الفلاسفة المثاليين قربا من هذه التجريبية " (٢).

---

١) نفس المرجع والصفحة

٢) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة للأستاذ يوسف كرم،ص ٤٢٦، وراجع كتاب مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة دراسة في ميتافيزيقا برادلي للدكتور / محمد توفيق

ويُرجع البعض سبب إقبال برادلي علي الفلسفة الألمانية وبعده عن الفلسفة الانجليزية إلي " **أنه رأى** استحالة اعتبار الوجدان سلسلة ظواهر مستقلة، كما يرى المذهب التجريبي الإنجليزي؛ لاستحالة إدراك مثل هذه السلسلة لنفسها، وهي الاستحالة التي وقف عندها لوك وهيوم ومل. ويحكم برادلي على المذاهب الإنجليزية حكمًا صارمًا، فيأخذ عليها الحسية والنفعية وضيق النظر والتعصب للرأي وبخاصة في المسألة الدينية، ويرمي إلى تطهير الأذهان من هذه النزعات" ويصفه الدكتور علي عبد المعطي محمد بقوله " ونحن نجد فلسفة برادلي الأخلاقية وهي مشوبة بنزعة هيجلية عارمة "وأيضا تأثره بالجدل الهيجلي وأن كان ضمنيا في تصوره للعالم(١).

بينما يرى البعض الآخر أن برادلي أبعد ما يكون عن فلسفة هيجل فيقول: تُنعت فلسفة برادلي بأنها (هيجلية جديدة)، وهو وصف غير دقيق، لأن هيجل عقلي توكيدي، بينما برادلي مزيج من الشك والإيمانية، وجدلية هيجل تكاد تكون مفقودة عنده. وربما الجامع بينهما هو الحديث عن (المطلق،

بينما يري بعض آخر أن برادلي، ينتمي في تاريخ الفلسفة، إلي تراث فلسفي ما، ويرفض تراثا فلسفيا آخر بشكل أكثر وعياً. والتراث الذي ينتمي إليه برادلي هو تراث الفلسفة المثالية متمثلة بصورة أساسية في هيجل ومن تبعه من الألمان أمثال لوتزي وستيوارت .أما التراث الذي لا ينتمي إليه فهو التراث المحلي الانجليزي التجريبي، تراث لوك وباركلي وهيوم وجون ستيوارت مل، إذا أردنا تسمية أهم أتباع هذا التراث. إن عدم انتماء برادلي يفوق انتماءه في الأهمية. وقد كتب برادلي

=الضوي، ص ١٦،ط منشأة المعارف بالإسكندرية، وكتاب. بوزانكيت قمة المثالية في انجلترا للدكتور علي عبد المعطي محمد ص ٧٤.ط دار التأليف والنشر بالإسكندرية

١) بوزانكيت قمة المثالية في انجلترا للدكتور علي عبد المعطي محمد ص ٧٤.ط دار التأليف والنشر بالإسكندرية.

يقول فيما يخص (المدرسة الهيجلية) أنا لا أعرف أحداً وجدها في أي مكان آخر، أما مدرسة (التجربة)، كما كان يسميها ساخرا، فإن برادلي لم يقتصر علي معرفة وجودها والاختلاف معها في تعاليمها وحسب وإنما كان يضمر لها مزيجا من الاحتقار والكراهية

والبعض عده من فلاسفة المثالية المطلقة لأنه من المؤسسين للمذهب المثالي في انجلترا ومن أجرأ المفكرين المثاليين الانجليز [١].

أما عن فلسفة برادلي فنقول: ــ

إن الحديث عن فلسفة برادلي ومحاولة تلخيصها لابد أن تكون عقيمة ذلك أن الكثير من أجزاء هذه الفلسفة يتسم بغموضه وبكونه علي درجة عالية من التجريد، فهي فلسفة صعبة المنال، ولعل ذلك يرجع إلي انتقاله من التجريب والحس والنفعية كما يصف هو الفلسفة الانجليزية، إلي المعنوي والمثالي واللا محسوس، وقد كان هذا الانتقال ثوريا ناقما علي الفلسفة الانجليزية ولذلك كانت الصعوبة والغموض، وإذا كانت فلسفة أفلاطون والفارابي تتمحور حول المدينة والجمهورية الفاضلة، وفلسفة هيجل تتمحور حول الديالكتيك واستخدامه في الوصول إلي المطلق، فإن فلسفة برادلي تتمحور في رفضه للفلسفة الانجليزية من خلال فصله بين المنطق أو الفلسفة وبين علم النفس، ثم مشكلة العلاقة بين الفكر والحقيقة (الواحدية) كما أنني لم أجد من يتحدث عنه كثيرا إلا من خلال رفضه للفلسفة الانجليزية، والذي يتمثل في مناقشة هذين العنصرين:

العنصر الأول: هو فصل المنطق والفلسفة عن علم النفس.

---

١) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة للأستاذ/ يوسف كرم،ص ٤٢٦، كتاب مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة دراسة في ميتافيزيقا برادلي للدكتور / محمد توفيق الضوي، ص ١٦،ط منشأة المعارف بالإسكندرية

والعنصر الثاني: هو الواحدية، أي النظرية التي تقول أن الحقيقة كل غير قابل للقسمة. أو علاقة الحقيقة بالفكر، وهي التي تأثر فيها بهيجل وفي فكر برادلي هناك علاقة واضحة وقوية بين هذين العنصرين أو هاتين القضيتين، كما سأحاول أن أثبت ولكنهما مختلفان مع ذلك، إذ أن الفلاسفة اللاحقين، ، أقروا كلهم تقريبا القضية الأولي بينما أجمعوا علي رفض الثانية.

ولعل محاولة برادلي قطع الصلة بين المنطق أو الفلسفة وعلم النفس، يرجع إلي أن الفلسفة عند الفلاسفة الانجليز كانت تعني بدراسة أسس المعرفة الإنسانية، التي هي ما يوجد في الذهن الإنساني، أو ما يمكن أن يوجد في الذهن الإنساني، وأن ما يوجد في الذهن الإنساني لم يكن أكثر من أفكار متقطعة حادثة في الزمان، وعمليات الذهن لم تكن لتزيد عن مجموعات من هذه الأفكار، وكانت وظيفة الفلسفة هي تتبع هذه الأفكار إلي مصادرها وعرض الطبيعة المحددة لمجموعات الأفكار، أو بمعني آخر تدرس الظواهر الذهنية الفعلية والوقائع النفسانية كالإحساس والعاطفة، وقد رفض برادلي كل هذا وكتب يقول : (لقد عشنا في انجلترا لمدة أطول مما يجب في وجهة النظر النفسانية)[١] وذلك من وجهة نظره، وأيضا إن الفكرة التي يدرسها علم النفس غير الفكرة التي تدرسها الفلسفة والمنطق ولذلك يجب الفصل بينهما، وقد كان لهذا الفصل نتائج متعددة ومتشعبة الجوانب إذ يتبعه تصور جديد لقوانين التفكير التقليدية، كما أنه يؤدي إلي تبني نقطة بداية في الفلسفة هي الحكم أو القضية بدلاً عن الفكرة أو المفهوم. كما تتضمن نتائج الفصل شحذ الاهتمام بالحقائق الضرورية.

(١) بوزانكيت قمة المثالية في انجلترا للدكتور علي عبد المعطي محمـــد ص ٧٤.ط دار التـــأليف والنشر بالإسكندرية

المبحث الثاني

الحقيقة المطقة ودرجتها عند برادلي

إن إشكالية الحقيقة من الإشكاليات التي اهتمت بها الفلسفة عبر عصورها المختلفة ولذا فهي قديمة قدم الفكر الفلسفي، حتى أن بعض الفلاسفة قد ربطوا بين طبيعة الحقيقة بوصفها البحث عن الوجود وبين الحقيقة بوصفها موضوع للفلسفة إن حديث برادلي عن الحقيقة المطلقة يشوبه الكثير من الغموض كما هو في فلسفته بصفة عامة، فقد عرفها بأنها: نسق منظم شامل يتضمن معارف وخبرات ومبادئ نقوم بإنمائها عن طريق زيادة نسبة المعرفة الصحيحة والمبادئ المُسلم بها نهائيا والأحكام والقضايا الصادقة علي الدوام، وبذلك يصير مضمون الحقيقة كثرة متحدة مستمرة النمو، ويتم فهم الحقيقة عن طريق التجربة المباشرة والتي تجمع بين الحدس والفكر وفي طريقه للوصول ألي الحقيقة المطلقة والتي هي متقومة كاملة بذاتها لا تفتقر إلي ما يوضحها ، حاول أن يثبت أنها نسق مترابط، وأنها لا تأتي إلا عن طريق ترابط مجموعة من الأحكام التي تعبر عن الواقع وهذا يعني أن الترابط هو تعبير عن طبيعة الحقيقة ذاتها التي هي نسق فكري وهي أيضا معيارا للأحكام التي تصدر عن الفكر ولها مظهران:-

الأول: الانسجام والاتساق وهو يعني استبعاد أي تنافر بين عناصر النسق المترابط.

الثاني: الاشتمال: ويعني دخول أكبر عدد ممكن من العناصر في النسق، فالأشياء ترتبط بعضها ببعض عن طريق علاقات داخلية، فالشئ يتم فهمه من خلال مجموع العلاقات التي تربطه بالأشياء الأخرى وبدأ بأن أخضع للاختبار بعض الاعتقادات والآراء الشائعة عن طبيعة العالم والتي تتمتع بقبول واسع الانتشار، وكذلك اخضع للاختبار الفلسفة، التي يري أنها تجسد هذه الآراء بطريقة أكثر نظاما. الاختبار الذي أخضعها له كان، علي حد قول برادلي، من النوع الذي لا يمكن لأي شخص عاقل

أن يرفضه، وكانت النتيجة أن فشلت هذه الآراء في اجتياز الاختبار واستنتج برادلي من هذا أن الحقيقة المطلقة توجد في مكان أخر، ولكن برادلي لم يرفض هذه الاعتقادات في أية لحظة، إذ سلم بأنها كانت بطريقتها الخاصة وافية تماماً. سوي أنها استجابت لحاجات مغايرة وأقل شأناً.(١)

درجات الحقيقة عند برادلي :-

تتحدد درجات الحقيقة عند برادلي تبعا للقرب أو البعد عن المثل الأعلى الذي يضعه المطلق، وتقاس درجات الحقيقة بمقداردرجة الواقعية اللازمة لدخول المظهر في نسق الواقع، وجميع الأشياء بالقياس إلي المطلق نسبية وهذه النسبية أيضا درجات من الواقعية

١- **الدرجة الاولي** / الحقيقة الموجودة في عالم الظاهر (الظاهرة) أن كل حقيقة تحتوي في داخلها على نوع من الخطأ وكل خطأ بداخله حقيقة، فالخطأ كمظهر ليس إلا حقيقة جزئية فهو نقص في بناء الحقيقة، والخطأ والحقيقة يمثلان وجودا فعليا والفرق بينهما في الدرجة وليس في النوع، أي ليس فرقا مطلقا، لأنه علي فرض ذلك فإننا نعترف بوجود حقيقة مطلقة ومثل هذه الحقيقة لا وجود لها وذلك لان وجود الحقيقة مشروط ببقائها ناقصة تسعى إلي اكتمال ذاتها، وبما أن عالم الظاهر هو عالم متناقض ولا يعطي معرفة محددة وصادقة، إلا أنها حين تتجه إلي المطلق فإنها تتغير وتتبدل وتتخلص من صفاتها الظاهرية ويصير كل متناه محدود لامتناه نتيجة للكمال الذي أضفاه عليه المطلق وهذه هي أدني درجات الحقيقة

---

(١) الفلسفة المعاصرة تأليف أ.م.بوشنكي، ترجمة د/ عزت قرني ط عالم المعرفة سـ ١٩٧٨ صـ ٧٥ وراجع فلسفة الدين الغربية المعاصرة تأليف يوري أناتوليفتش كميليف ترجمة هيثم صعب صـ ٣٥

٢- الدرجة الثانية / التفكير العلائقي (الحقيقة) أي ارتباط الفكر بالعلاقات فإذا لم يكن الفكر علائقي فإن مصيره الانتحار، لأننا ننظر إلي الأشياء كموجودات وليست صفات، لان الصفات تتسم بالثبات والموجودات تتسم بالتغير فلابد من وجود علاقة بين الموجودات بعضها ببعض وطالما أن الفكرعلائقي فلن يصل إلي الحقيقة، وإنما يبين فقط شريحة من الحياة لا الحياة الحقيقية، لان الحقيقة فوق العلاقات وبذلك نتوصل إلي الوحدة الشاملة.(١)

٣- الدرجة الثالثة / الوحدة الشاملة (الحقيقة المطلقة أو المطلق) وتأتي من اتحاد الفكر والشعور والمقصود بالوحدة التأليف بين عناصر التجربة المتعددة من أحساس ومشاعر وتفكير وإرادة في واحد شامل، ثم يطرح برادلي سؤالا هو:هل يمكن أن توجد في المطلق موجودات تماثل تلك التي توجد في عالم الظواهر، وهل توجد حياة لكافة الموجودات فيه، وهل به اتجاهات ووقائع تماثل ما نحياه في عالم تجربتنا وخبرتنا الحسية ؟ والإجابة.

يقرر برادلي أن محاولة فهم المطلق من منظور فهمنا كموجودات متناهية محاولة غير صحيحة، لأننا لن نصل إلي أي حقيقة بسبب أن المطلق لا يحصر في حدود خبرتنا الجزئية، وهذا يعني أننا لا نخضع خضوعا تاما للمطلق لأننا الذي نشكل محتواه عن طريق أفعالنا، صحيح أنه لا يخلق الخبرات الإنسانية إلا أن هذه الخبرات هي محتواه تماما ، والحقيقة ليس بها ذلك الزمان الحسي المألوف لأنها لو كان بها ذلك الزمان لأصبحت تشبه الظاهر (٢).

---

١) الفلسفة الحديثة من ديفد إلى هيوم د / إبراهيم مصطفى إبـــراهيم صـــــ ٣٠٩ ط دار الوفـــاء للطباعة والنشر

٢) انظر مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة دراسة في ميتافيزيقا برادلي للـــدكتور محمد توفيق الضوي ص ٨٣

المبحث الثالث

حقيقة العالم عند برادلي

إن مسألة حقيقة العالم مسألة شغلت الكثير من فلاسفة العالم قديما وحديثا، هل حقيقة العالم هذه الظواهر العابرة التي تظهر وتختفي ؟أم أن الوجود الحقيقي غير هذه الظواهر العابرة ؟وقد تعددت الإجابة فقالت المدرسة الإيلية: بأن هناك فارق بين ما هو ظاهر وما هو حقيقي، وأن عالم الظاهر يتكون من الحركة والتغير والصيرورة والتعدد والكثرة وهو ذلك العالم المألوف لدينا الذي نعرفه عن طريق الحواس ويسمونه عالم الوهم.

أما عالم الحقيقة فالوحدة والكون هما الصفتان الأساسيتان لـه ويُعـرف عـن طريق العقل وحده، أما سقراط وأفلاطون فقد ساروا علي نفس التقسيم واتفقوا علـي صفات عالم الظاهر، أما عالم الحقيقة فعند سقراط هو العالم الذي يكمن وراء عـالم الجزئيات وهو ساكن ثابت لا يتغير وهي كلية تقوم علي أساس الماهيات الثابتة، أما أفلاطون فعالم الحقيقة عنده هو عالم المُثل وهي التصورات العقليـة التـي تفـسر الموجودات جميعا وهي الطبيعة العامة الأساسية والمشتركة بين جزيئات هذا الشيء وهي تقع في عالم بعيد عن الزمان والمكان وهو عالم المُثل وفي الفلـسفة الحديثـة قسم كانط العالم إلي ظاهر والي الشيء في ذاته وأن كل شيء من أشياء العالم لـه مظهر وحقيقة.(١)

أما عند برادلي فإنه ينظر إلي العالم ككل، ويرى أن النظرة إلي العالم باعتباره مؤلفا من موضوعات منفصلة نظرة متناقضة تماما، ذلك أن العالم واحـد والواقـع الحقيقي واحد، وأن ما يبدو في الظاهر من اختلاف مآله إلي الزوال، وقد عبر عـن هذه المسألة أدق تعبير في كتابه الظاهر والحقيقة، وقد كـان تقـسيمه للعـالم إلـي الظاهر والحقيقة له غاية منهجية، لان عالم الظاهر يؤدي إلي الحقيقة فعالم الظـاهر

(١) بوزانكيت قمة المثالية في انجلترا للدكتور علي عبد المعطي محمـد ص ٧٤.ط دار التـأليف والنشر بالإسكندرية

يشير إلي العالم الحسي المألوف لنا وهو عالم الفعل والوقائع والأحداث ويمدنا بمعرفة أولية ولكنها ليست يقينية وأن هذا العالم ليس مرفوضا لأنه عالم مؤكد وواقعي، نستمد منه معرفة صادقة وصحيحة بجانب سلبياته، بينما عالم الحقيقة أحكامه صادقة خالدة صالحة في كل زمان ومكان، لأنها تتسم بالشمول والاتساق ولذلك لا يثبت المبدأ أو الفكرة الصادقة في حدود المظاهر المتغيرة وإنما في منطقة أخرى من مناطق العقل، ولكن العقل جانب شخصي فردي والفرد متناه بطبيعته، ولذلك طرح سؤالا:هل هناك تلاق بين المتناهي واللامتناهي أم تزول الحقيقة بتناهي الشخص في الوجود؟ووصل من هذه الفكرة وهذا التساؤل إلي المطلق وهو الخالي من التناقض وهو وحدة كلية واستقرار وانسجام يشمل كل شيء وهو حقيقة كاملة(١).

وقد رسم برادلي صورة للعالم من ثلاث مستويات

١-عالم الشعور المباشر أو الخبرة المباشرة وهي الخبرة السابقة علي تكوين العلاقات بين الأشياء وهذه الخبرة نشعر فيها بكل لا انقسام فيه ولا تنوع.

٢- عالم الفكر الذي تسري فيه العلاقات وتكون الأشياء مجرد مظاهر وليست واقعا.

٣- عالم الواقع أو المطلق الذي تعود فيه الوحدة والانسجام بين الأشياء.

كما نستطيع أن نقول إن حقيقة العالم عند برادلي

تتمحور في نظرية الزمان والمكان، والتي ناقشها برادلي مناقشة ميتافيزيقية والتي شغلت حيزا كبيرا في فلسفته لدرجة أن وضع كتابا كاملا يتحدث عن هذه المسألة، وعن علاقة المظهر بالحقيقة فقال: " إن العلاقة الايجابية لكل مظهر بوصفه عرضيا للحقيقة وحضور الحقيقة وسط مظاهره بدرجات مختلفة وبقيم متفاوتة هذه الحقيقة المزدوجة نجدها محورا للفلسفة " يرى أنه لا يجب أن ننظر إلي

١) مفهوم المكان والزمان ص ٦٢، ٦٣ المظهر والحقيقة لبرادلي ص ٥٥١

العالم كأجزاء منفصلة بل وحدة واحدة يتكامل فيها الظاهر والحقيقة " وكتاب "الظاهر والحقيقة" دراسة نقدية للتصورات التي حاول بها الفلاسفة تفسير الوجود.

يذهب فيه برادلي إلى أن معاني المادة والمكان والزمان والطاقة وما إليها, التي هي أركان العالم الطبيعي, لا مقابل لها في الخارج، ولكنها نافعة في تعيين الظواهر المحدودة والتعبير عما بينها من علاقات، فإذا أريدت أن تعبر عن ماهية الأشياء أدت إلى متناقضات وجرتنا إلى التسلسل إلى غير نهاية من حيث يمكن أن نسأل دائمًا عن علاقة الأجزاء بعلاقاتها دون أن نقف عند حد, ومن حيث إن الحكم لا يصدق إلا إذا تناول جميع الشروط التي يتعلق بها صدقه. فهذه المعاني "معاني عمل لا دلالة نظرية لها وإنما كل دلالتها صناعية، لذا يمتنع أن نجعل من العلم الطبيعي علم ما بعد الطبيعة كما يصنع الماديون, وإنما يتعين علينا التمييز بين العالمين، ومتى ميّزنا بينهما لم يعد بينهما خلاف، كذلك لا يمكن إقامة ميتافيزيقا على علم النفس وحده. أجل, إن معنى النفس أو الذات يدلنا على ارتباط بين الظواهر الباطنة أوثق من ارتباط الظواهر الطبيعية وعلاقاتها, إذ إنه ارتباط باطن لا ظاهر؛ لذا كانت التجربة الباطنية أعلى تجربة, غير أنها تظهرنا على الأنا كأنه جملة آنية من تغيرات وعلاقات، ولا تظهرنا على ماهيته في معنى واحد مغلق، فلا تفيد في التعبير عن الحقيقة المطلقة، كما أن المادية عاجزة عن مثل هذا التعبير، إن علم النفس علم جزئي، وكل علم جزئي فهو يستخدم اصطلاحات ملائمة لغايته ويجد أنصاف حقائق ومعنى النفس معنى مجرد كمعنى الجسم سواء بسواء، ولا يمكن أن تكون الحقيقة جسمًا ولا نفسًا؛ لأننا لا ندرك سوى أحداث تعرض علينا الوجهتين"(١).

١) تاريخ الفلسفة الحديثة / يوسف كرم ص ٤٢٦، ٤٢٧

المبحث الرابع

موقف برادلي من الدين وطبيعته

الدين عند برادلي هو محاولة لبيان حقيقة الخير الكامل (المطلق) عن طريق الأبعاد الوجودية للإنسان والتي تأتي من اتحاد الفكر والشعور والمقصود بالوحدة التأليف بين عناصر التجربة المتعددة من إحساس ومشاعر وتفكير وإرادة في واحد شامل، بحيث تتوجه الظواهر إلي المطلق وتبدل من بعض صفاتها لتتآلف مع المطلق في وحدة ليست زمنية، وإنما وحدة تتحقق في مبدأي الاتساق والشمول ولذلك يرى برادلي أن محاولة فهم المطلق من منظور فهمنا كموجودات متناهية محاولة غير صحيحة لأننا لن نصل إلي أي حقيقة بسبب أن المطلق لا يُحصر في حدود خبرتنا الجزئية حيث لا مكان ولا زمان "والفلسفة والدين تعبيران عن المطلق الذي نصبو إليه. الفلسفة ترينا أن العلم شيء ضئيل بالإضافة إلى غنى الوجود، ويحاول الدين تصور المطلق في ذاته بمعانٍ مستمدة من التجربة ولكن الفلسفة علم يراجع ماهية المعاني وقيمتها, والدين لا يراجع.[١]

فمن هذه الوجهة الفلسفة أرفع؛ والفلسفة علم نظري، والدين مجهود يتجه إلى التعبير عن الحقيقة الكاملة للخير بواسطة جميع نواحي طبيعتنا، فمن هذه الوجهة الدين أرفع ومن الخاصة هذه تتبين أن برادلي تصوري لا يعترف لمعاني العقل بغير قيمة اصطلاحية، وأنه أحادي يقضي على وجود الفرد، فيتفق مع أصحاب البراجماتزم في النقطة الأولى، ويختلف عنهم في الثانية "[٢] على أن هذه المناقشة تفترض أن لدينا مقياسًا لما هو وجود وحقيقة. والواقع أن لنا في "معنى التجربة" هذا

---

١) الفلسفة المعاصرة تأليف أ.م.بوشنكي، ترجمة د/ عزت قرني صـــ ٨٦

٢) تاريخ الفلسفة الحديثة / يوسف كرم ص ٤٢٦، ٤٢٧

المقياس: في هذا المعنى شيئان مرتبطان ارتباطا وثيقا, هما الكثرة والعلاقة المنسجمة بين وحداتها.

فالتجربة الكاملة تفترض محتوى واسعا جدا مرتبطا أوثق ارتباط بحيث يؤلف كلا حقا، وهذا مقياس الحقيقة. وهو أيضا مقياس القيمة في العمل؛ ذلك بأن كل ميل من ميولنا لا يجد رضاءه فهو معنى غير تام. وكل ألم فهو تعبير عن عدم انسجام وهو حافز لرفع هذا العدم. فالنقص والقلق وعدم الانسجام, ذلك نصيب الموجود المحدود، في حين أن مثلنا الأعلى العملي يقضي بإرضاء كل ناحية من طبيعتنا بانسجام مع سائر النواحي. ولكننا عاجزون عن تصور ما يرضي المقياس تمام الرضا, وفينا تعارض مستمر بين الكثرة والانسجام. والسبب في عدم الانسجام الحد، ولا يرفع الحد إلا بمحتوى أوسع يمحو تبعيتنا للعلاقات الخارجية التي هي سبب الاضطراب الباطن. لذا كان الموجود اللامتناهي دون غيره منسجمًا تمام الانسجام وثابتًا لا يتغير لأنه كامل؛ ولذا كنا ننزع دائمًا إلى الصعود ونريد أن نفنى في المحبة كما يصب النهر في البحر [1].

(تعقيب) لم أري فيما طالعت عن برادلي رأيا مستقلا يتحدث فيه عن الدين، وإنما انصب حديثه عن الحقيقة المطلقة (المطلق) وخصائصه والتي منها الوحدة ولكنها ليست وحدة زمنية، لأنه لا يوجد زمن ظاهري في المطلق، وإنما تتحقق الوحدة في مبدأي الشمول والاتساق، كما أنه لا يوجد حدوث ولا تناهي في المطلق.

١) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ١ / ٤٢٦،٤٢٧

الفصل الثالث

المثالية المطلقة عند بوزانكيت

الفصل الثالث

المثالية المطلقة عند بوزانكيت

المبحث الأول

برنارد بوزانكيت حياته وفلسفته

فيلسوف انجليزي يقف علي قمة التيار المثالي في انجلترا، وُلد ببلدة روك هول بانجلترا عام ١٨٤٨ م من أبوين ثريين وأسرة غنية وافرة الذكاء متعاونة متحابة تقبل على المشاركة على الحياة بكل معانيها محققة مبدأ فن الحياة مع الآخرين وبثت فيه النظرة الروحية الشاملة، تلقى تعليمه الأولي بانتظام في جامعة أكسفورد، حيث كانت هذه الجامعة مركزا ضخما للمثالية في انجلترا، تخرج من أكسفورد وكان أستاذا فيها منذ عام ١٨٧١.وقد ساهم في تنمية الحركة المثالية في هذه الجامعة إلي أن ارتحل منها إلي لندن عام ١٨٨١ وهناك اهتم اهتماما كبيرا بالمجتمع وتنظيمه وبالحياة الاجتماعية وذلك بإلقاء المحاضرات العامة، وفي عام ١٩٠٣ عُين أستاذا للفلسفة بجامعة سانت آندروز حتى تُوفي عام ١٩٢٣ م. (١)

أهم كتبه ومؤلفاته: كتب في ميادين فلسفية كثيرة ففي المنطق له كتاب "المنطق"بوصفه علم المعرفة "وكتاب المعرفة والواقع، والمنطق ومورفولوجيا المعرفة ، مقالات وأحاديث، وأُسس المنطق عام ، وكتاب التضمن والاستدلال التسلسلي، وألف في المجال السياسي كتابه الضخم (النظرية الفلسفية للدولة) وفي الأخلاق كتاب سيكولوجية الذات الأخلاقية) وكتاب مبدأ الفردية والقيمة محاضرات جيفورد، وقيمة الفرد ومصيره"، بعض الاقتراحات في الأخلاق وفي المجال الديني

---

(١) ينظر المعجم الفلسفي الموسوعي، موسكو ١٩٨٩، ص ٥٠٣ وراجع موسوعة الفلسفة / الجزء الأول/الدكتور عبد الرحمن بدوي/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر / الطبعة الأولى ١٩٨٤. صـ ٣٧٦.

"ما هو الدين"، وكتاب مدنية المسيحية ، كما كتب في فلسفة الجمال كتاب (تاريخ علم الجمال، ثلاث محاضرات في علم الجمال) وإلتقاء الأضداد في الفلسفة المعاصرة ، وكتاب التمييز بين الذهن وموضوعاته، والمرشد إلي جمهورية أفلاطون، وله أيضا كتاب المثل العليا الاجتماعية والدولية، وثلاثة فصول في طبيعة العقل ، كما نشر له موير هيد مقاله الطيب عن الحياة والفلسفة عام ١٩٢٤ م أي بعد وفاته بعام، والذي بين فيه بوزانكيت تأثير الأحداث العميقة في حياته على تأسيس وإقامة نسقه الفلسفي وبنائه الميتافيزيقي، واشترك في ترجمة ونشر كتاب لوتسة المنطق والميتافيزيقا ، كما ترجم كتاب هيجل مدخل إلي فلسفة الفن الجميل، وهو يتسم بصفة الموسوعية وبسمة التعمق في نفس الوقت وهو من رجال الهيجلية الجديدة، تُوفي عام ١٩٢٣ م. (١)

فلسفة بوزانكيت

يعده الكثير من المفكرين والباحثين من أتباع الهيجلية الجديدة ولكنه لا يرى أن هناك فكرًا خالصًا ومنطقًا خالصًا ومعنًى مجردًا هو كلي فحسب، وإنما الوجود عنده مركب من الكلية والتشخص وتمتاز فلسفة بوزانكيت بالطابع المثالي، فقد أصل المذهب المثالي وبين ارتباطاته بكافة النواحي السياسية والأخلاقية والدينية والاجتماعية والجمالية فهو قمة المثالية فكرا وتطبيقا في انجلترا لقد اتسمت فلسفة بوزانكيت من بين الفلسفات بسمة التسامح كما اتسمت بالشعورية؛ فجاز لنا عدها فلسفة إنسانية (لا بمجرد المعنى العلماني الذي يقابل الإنساني بالكنسي

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الحديث للأستاذ يوسف كرم ص:٤٢٨ وما بعدها،وانظر:موسوعة الشروق المجلد الأول ص ٧٦ إصدار دار الشروق عام ١٩٩٤ لمجموعة من العلماء والمحررين،انظر بوزانكيت قمة المثالية في انجلترا للدكتور / علي عبد المعطي محمد ص ٦٠ وما بعدها ،ط الهيئة المصرية العامة للكتاب دار التأليف والنشر بالإسكندرية

أو الديني)، ولكن بالمعنى الشعوري الوجداني الأيقوني الأبعاد الذي نقصده في هذا السياق.[١]

وكفى بالبوزنكيتية بِرا بالإنسانية أنها تحذرها من أن تستنفد نفسها في أهداف أرضية ومادية لأن هذه الأهداف وهمية وخطرة وهى أساس **كل النزاع وقد استندت فلسفته علي مبدأين هما: –**

١) أن الحقيقة هي الكل **٢)** مبدأ عدم التناقض

مثله في ذلك مثل هيجل في القول بأن الحقيقة هي الكل ومبدأ عدم التناقض.

(١) وراجع موسوعة الفلسفة / الجزء الأول/الدكتور عبد الرحمن بدوي/ صـ ٣٧٦.

المبحث الثاني

موقف بوزانكيت من علم المنطق والأخلاق والسياسة

يربط بوزانكيت بين المنطق والمعرفة ربطا وثيقا، ويشير إلي ذلك في كتابه أسس المنطق فيقول: أن المعرفة هي الحكم الذي يوجد بين تفسيرنا التركيبي للشيء وبين الحقيقة التي يدل عليها إدراكنا للشيء ويقول أيضا في كتابه مورفولوجيا المعرفة: إنني بإعطائي هذا العنوان إنما اقصد أن أشير إلي الدراسة غير المتحيزة للحكم والاستدلال خلال صور عديدة يمكن أن نتعقبها بسهولة أخذ بوزانكيت بفكرة التصور الكلي عند هيجل، أي القول بأن أي تصور كلي إنما يمثل الكون. وأن كل حكم يشير في النهاية إلى شمول، وأن الكلي الحق هو دائماً واقع عيني يؤلف في داخله لحظاته الخاصة به.

وأن الكلي على نوعين كلي مجرد مثل الحُمرة، وكلي عيني مثل يوليوس قيصر. فاللون الأحمر شديد التنوع والتدرج، أما أفعال الفرد فمترابطة فيما بينها ترابطاً منظما.، فالمنطق عنده معرفة تركيب الأشياء أو هو العلم الذي يجعل الأشياء قابلة لأن تكون معقولة. فهو يعرض لتأييد مذهب برادلي بالاعتماد على التجربة,، وأن الصورة المنطقية الأولي والأساسية عنده هي الحكم لا التصور فيرى أن الوجود موجود فردي مستوعب كل شيء معقول تمام المعقولية، وأنه وحده "موجود" وما عداه من الجزئيات، عقولا أو أشياء، فله فردية جزئية ووجود جزئي. والدليل على ذلك أن الإدراك الظاهري والتفكير والحياة الاجتماعية والأفعال الأخلاقية والتأمل الفني والتجربة الدينية، كل أولئك يظهرنا على أن تحقيق أنفسنا معناه تسليم أنفسنا لشيء أوسع من الأنا؛ هذا الشيء هو المطلق، والمطلق هو الذي كتب الدراما العالمية وهو الذي يحققها، إنه فنان وممثل ومنطيق. فالوجود تراجيديا، وما فيه من شر فهو يشارك في كمال الكل، على ما نرى في التراجيديات التي يؤلفها البشر.

وحين ينظر الفرد المحدود إلى الشر ويقبله بهذا الاعتبار, يراه وإذا به يفقد من شريته ويفيد هو منه بأن يحاربه, ويفوز عليه.[1] وللمنطق عنده نفس مضمون الميتافيزيقا فالحقيقة لا تكون إلا في نسق وعلاقتها المميزة لها هي الترابط أي التوافق في ارتباط جميع الأجزاء في كل منظم لا في التطابق الخارجي بين الفكر والواقع.

أما عن موقف بوزانكيت من الأخلاق والسياسة فأقول:ــ

عندما بدأت في قراءة طبيعة الأخلاق عند بوزانكيت، وجدته كما لقبه الدكتور /علي عبد المعطي قمة المثالية، إن حديثه عنها مفعم بالمثالية، وكأننا لسنا علي ارض الواقع الملئ بالخير والشر، وكأن الإنسان ليس له قلب ومزاج متقلب وظروف يتأثر بها وبيئة وأفراد يُؤثر ويتأثر بهم، هل نحى كل ذلك جانبا، أم هي نظرية الواجب أي ما يجب أن يكون عليه الإنسان في الجانب الأخلاقي، أم هي نزعة صوفية بحتة تتمثل في الارتقاء والبعد عن الانعزال والاتحاد بكل أكبر (نظرية الاتحاد) هل يضع شروطا أو صيغة لتوجيه السلوك في ميدان الأخلاق ؟ لنري في السطور التالية موقفه هذا بوضوح.

بداية هو لا يوافق علي أي صيغ أو أوامر أخلاقية تقودنا وتوجه سلوكنا في الميدان الأخلاقي، لأنه يري أن الأخلاق لابد وأن تكون نابعة من الذات ومن الذات وحدها، لأنها هي التي تعرف نفسها وتكون مؤمنة بالقيم، عارفة بظروفها وحدودها، إذن حياتي الأخلاقية مرتبطة بظروفي وبإرادتي الأخلاقية ومدى ارتباطي بالقيم، وعلى أن أفعل ما استطيع طبقا لكل ظروف وكل واقعة بشرط أن أناصر الخير وأؤيده، ليس خيري فقط وإنما خير الآخرين، ولكن إذا كان لا يوافق علي صيغ

---

١) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ١ / ٤٢٨ وراجع دراسة نقدية للفلسفة البراجماتية في ضوء المعايير الإسلامية، أ / محمد خضر عوض صـــ ٦٧ " الجامعة الإسلامية ــ غزة.

أخلاقية فكيف يعرف الإنسان ماذا يفعل ؟ يرى بوزانكيت أن هناك خطوتان مترابطتان تجعلان سلوكي أخلاقيا وتوجهان أفعالي إلي السلوك السليم، يقول بوزانكيت: " الاتجاه السليم يعتمد علي تكويني للإرادة الخيرة في الذات، تلك الإرادة التي تمرست وتدربت جيدا بواسطة نسق مترابط من القيم، وهذه القيم لابد أن نعرفها ونقدرها علي اختلافها، وأن ننظر إليها نظرة تقدير واحترام، ولابد أن يتبع ذلك تكوين إرادة خيرة، إذن الأمر يحتاج إلي إرادة خيرة موجهة بنسق مكتمل ورفيع من القيم الممكنة، هل هذا يكفي لتوجيه السلوك ؟ [١]

يري بوزانكيت أن هذا لا يكفي لأن الإنسان مخلوق متناه والمتناهي نقص وهذا النقص يجعل سلوكنا غير مكتمل، إذن لابد من معرفة القيم وتقديرها ثم تكوين إرادة خيرة غير محددة بأحكام مسبقة ولديها القدرة علي أن توحد ذاتها بالقيم، إذا عرفنا كل هذا فإننا نستطيع أن نقول بأننا نسير في طريق النجاح نحو السلوك الأخلاقي سيرا أفضل ما يكون بالنسبة إلي وجودنا الإنساني المتناهي، كما يري أن الواجب الأخلاقي لابد أن ينتشر في كل مكان تجده فيه، وخلاصة ذلك: أن الإنسان لا يستطيع الوصول إلي الكمال الأخلاقي لأنه متناه، ولكنه يحاول الوصول إلي الأفضل والأحسن فقط، ولأن أرواحنا متصلة في وحدة كبرى، فلابد من التضحية الفردية من أجل الوصول إلي الخير الأسمى ويري أن للناس ثلاثة مواقف تجاه السلوك الأخلاقي.

١) موقف الرضا وهذا الموقف يرفض أن يكون هناك شر فكل شيء خير، وأن الكمال موجود في كل الأشياء، وأن كل شيء علي ما يُرام في هذا العالم وهو موقف تفاؤلي ساذج

(١) بوزانكيت قمة المثالية في انجلترا / للدكتور /علي عبد المعطي محمد ط الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٣.صـ ١٣٧

٢) موقف الرجاء والتوقع وهذا الموقف يري أن هناك شر ولا كمال في الحياة ولكنه يُؤمن بجنة أرضية أو سماوية تقضي بالإثابة والتعويض عن هذا الشر واللا كمال

٣) موقف اليأس والقنوط وهو موقف يُؤمن بمستوى معين من الخير والكمال لكنه ينكر إمكانية الوصول إليهما سواء في عالمنا أو في العوالم الأخرى. ويرى أن من يتبنى أي موقف منها فقد ضل الطريق لان الأول ساذج والثاني زائف والثالث ساذج وزائف معا، إذن ما السبيل تجاه السلوك الأخلاقي ؟يقول بوزانكيت:"أن علي الإنسان أن يعرف أنه يموت دائما أي انه يفقد باستمرار أجزاء من بدنه ومن ممتلكاته ومع ذلك فهو ينمو أي يستحوذ علي شيء لم يكن حاصلا عليه وهذاينبثق من طبيعته التي لا يستطيع التحلل من الالتزام بها وإذا فهم الإنسان هذا ولم يكن قلبه مع الأشياء المتغيرة والزائلة وإنما مع كل كامل ثابت، يبقى خلال فقدانه المستمر لأجزاء من ذاته وفيما تملك إذا قبل هذا بالغريزة والدافع الديني فإنه سيشعر وسيدرك معني الحياة " معنى هذا أن الحياة كسب وخسارة خير وشر ويجب أن نقبل الحياة علي هذا النحو وكلما كان سلوكنا في هذا العالم الممتلئ بالمتقابلات مُقادا بالإرادة الخيرة المشبعة بالقيم كلما كان خيرا.[١]

أما عن دور السياسة:ـــ

فيري بوزانكيت أن النظرية الفلسفية في الحياة السياسية تتناول الحياة في ذاتها ومن أجل ذاتها بمعني (ما من إنسان يحيا إلا وتوجد دولة يقرر أن العلاقة بين الفرد والدولة شبيهة بالعلاقة بين الكون الأصغر والكون الأكبر. ويقول) :إن كل

(١) أعلام الفلسفة الحديثة الجزء الثاني ص٩٠ وما بعدها للدكتور على عبد المعطي بتصرف

الأفراد تقويهم، وتحملهم إلى ما وراء شعورهم المتوسط المباشر المعرفة والموارد والطاقة التي تحيط بهم في النظام الاجتماعي).

وأن (الشخصية المعنوية للمجتمع أكثر مشاركة في الواقعية من الفرد الظاهر وهو ينقد الدولة التي تقتل سياسياً معادياً للنظام فيها، لا لأنها ارتكبت جريمة قتل، بل لأنها أخفقت في القيام بواجباتها. وأن الفرد إذا قتل أحداً في الحرب لا يمكن أن يعد قاتلاً إذا قتل عدوه في الحرب، ولا مغتصباً إذا ضمت دولة إليها دولة أخرى بالاستيلاء والغزو، بل المسئول معنوياً في كلتا الحالتين هو الدولة [١]

ويُعجب بوزانكيت بالدولة الإغريقية القديمة وبنظرتها إلي المجتمع وتكوينه لأن نظرتها كلية عامة، كما تأثر أيضا بآراء جان جاك روسو في العقل السياسي، ويري أن كتابات روسو تتسم بالروح الكلية لأن جوهر المجتمع الإنساني يتكون من الذات العامة التي تتمتع بالإرادة وبالحياة التي تنبثق وتمارس خلال المجتمع من حيث هو كذلك أو خلال الأفراد في المجتمع من حيث هم كذلك، وتتمثل تلك الذات العامة عند بوزانكيت في صورة الإرادة العامة، بمعني أن الإنسان الذي يكّون الدولة هو الإنسان الأخلاقي الذي تتغلغل فيه الإرادة العامة وترتفع إلي مستوى أعلي وتبلغ فرديته الأصيلة المرتبطة بالكل العضوي إلي حد الارتفاع إلي الوحدة الكاملة مع الكل الاجتماعي. وتتلخص فكرة السياسة عند بوزانكيت في فكرتي الإرادة الحقة والحرية، والإرادة الحقة هي الإرادة العامة التي تتضمن فكرة الوحدة العضوية، التي تخلص الفرد من عزلته وانفصاليته وترتفع به إلي مستوى يمكنه من الارتباط العضوي بالمجتمع، إذن هناك فرد، أسرة، عائلة، طبقة، مجتمع، دولة، نوع إنساني، إنسانية، ثم يستمر العقل الإنساني في التحرك لكي يزيل التناقض ولكي يشكل عالمه

---

١) ملخص من موسوعة الفلسفة: الجزء الأول/الدكتور عبد الرحمن بدوي/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر / الطبعة الأولى ١٩٨٤/ صفحة ٣٧٦ وما بعدها

وذاته في وحدة أعلي، وتظل الروح أو النفس تنتقل علي هذا النحو وتتفتح علي المجتمع بالفن والدين والفلسفة التي يري بوزانكيت أنها دم المجتمع[١].

تعقيب:-

بعد مطافنا مع بوزانكيت في مجال الأخلاق رأيت أني أمام فلسفة أخلاقية جديدة ونظرية فريدة، لأن سلوكنا وتوجيهه لا يعتمد علي صيغ أو أوامر أو نصائح وإنما أمر نابع من الذات فقط، وأن الحكم الأخلاقي هو حكم كلي وعام يجب أن يتمثله كل أفراد المجتمع وأن هذا الحكم مرتبط بنسق مترابط من القيم والخيرات إنه يطبق كل مبادئه التي تبناها في مجال الأخلاق مثل مبدأ الكلية لأن الحقيقة هي الكل فلا توجد فردية أو انعزالية وإنما تعايش للجميع، وحينما يناقش إنما يناقش مسائل عامة تتصل بالإنسانية جميعا علي اختلاف دياناتها واتجاهاتها ويتضح ذلك في آرائه في الحياة لأجل الآخرين والخير الاجتماعي ومناداته بتقدير حاجات واتجاهات الأمم ألآخري في الحروب وفي العقاب لان فيه المصلحة العامة، وفي إجابته عن السؤال هل الضمير ديني قال نعم شريطة أن يكون الدين كلياً، كما أن الحكم الاخلاقي لابد وأن يكون كلياً، كما يطبق مبدأ عدم التناقض المنطقي علي الاختيارات الأخلاقية، لأن الإنسان حينما يختار خيراً يجب أن يضع نُصب عينيه الاختيارات الأخرى التي تتعارض والتي لا تتعارض معي، كما أنه يرفض استخدام العقل في مجال الأخلاق، لأنه يعتمد مبدأ البساطة الذي لا يقبل التحليل والتركيب وينأى عن التبرير والتعليل، لأننا أمام أخلاق مُؤسسة علي فكرتي الكلية والبساطة، فالأخلاق عنده تتسم بالكلية والوحدة والترابط، فنحن أمام قمة المثالية حقا، ليتها تكون علي أرض الواقع.

---

١) أعلام الفلسفة الحديثة الجزء الثاني ص٩٠ وما بعدها للدكتور على عبد المعطي بتصرف

المبحث الرابع

موقف بوزانكيت من الدين والتدين ومسألة التوفيق بين الدين والفلسفة

أولا:- ما هو الدين ؟

" الدين أعلى من الفكر ومن التعقل ومن المنطق لأن مقره القلب والوجدان " وهو حقيقة كلية وبسيطة ووحدة لا تقبل الانقسام، ملخص بسيط معقد في شرحه ومحاولة فهمه، إنه كمن يريد أن يفهم الثالوث المسيحي أو أن يفعل الإنسان كما قال بوزانكيت: اعتقد فحسب إن جوهر الدين عند بوزانكيت يتلخص في الإجابة عن هذا السؤال، ماذا أفعل لكي أخلص ؟ من أي شيء يريد بوزانكيت أن يخلص ؟ هل من الألم أم من الخطيئة أم ماذا ؟ويجيب بوزانكيت أن التخلص من الألم لا يُجدي نفعا، أما التخلص من الخطيئة فإنه قريب من المعني ويقول: ولكن إذا تعمقناه فستظهر ضآلته، إذن يريد بوزانكيت أن يخلص من شيء أعمق من هذا ويجيب هو ويقول:" نحن نخلص –إذا كان لنا أن نستعمل الكلمة – من الانعزال، ونحن نخلص إذا سلمنا أنفسنا لشيء....عظيم "ولا يمكن أن نخلص كما نحن وإننا يمكن أن نخلص بإعطاء أنفسنا إلي شيء نبقى بواسطته كما نحن ومن ثم ندخل في شيء جديد، فكن كليا أو التحق بكل "ويري أن هدف الدين هو الحصول علي الخير الكامل وهذا الخير الكامل هو الحياة والروح والمعني التي علينا أن نضيفها وأن نحارب من أجلها، والعقيدة الدينية لها ناحيتين متداخلتين ومتكاملتين هما الإرادة والحكم وذلك يتبلور في الإخلاص والنقاء القلبيين، والمسألة الدينية هي بمثابة صرخة من قلب الدين لكل وقت أن "اعتقد وحسب "وبالعقيدة وحدها مُدعمة بالعبادة تتغلغل إلي أعماق الذات ويرفض الإنسان الشر ويبغضه، وحينما يتم له ذلك يشعر بأنه متحد بالخير الأعظم، وهنا يقول بوزانكيت: "تخرج أنت من دائرة العقل لكي تدخل في دائرة التصوف، وعندما يقول لك العقل (أنت خارج الله سوف) تجيبه لا: أنا في الله) أنا في السماء....أنا في داخلها...فيه...ولن أتركه إلي الأبد..يمكن أن يحتفظ الشيطان بخطاياي ويمكن أن تحتفظ الدنيا بجسدي ولكنني أعيش في إرادة الله حياته ستصبح

حياتي، وإرادته سوف تصبح إرادتي، وسوف أموت باستدلالي حتى يتمكن لـــه أن يعيش في ذاتي وتصبح كل أعماله أعمالي(١)

" وهنا ينتقل بوزانكيت إلي التصوف ويبتعد عن العقل تماما، ويصبح الدين تجربة دينية يتكلم فيها الكانسان مع صوت واحد هو الصوت الإلهي، ويدعو بوزانكيت إلي اتحاد الأرواح بعضها ببعض ولم يحدد في أي مكان تتحد وإنما يكفي أن تتحد فقط ثم تتحد بعد ذلك مع الطبيعة (٢)

إن الدين يدعونا أن نحافظ علي التجربة الدينية وأن ندخل فيها بأكمل ما يمكننا فالدين لا يشبه أي شيء آخر ففيه مثلا خارج الضعف تصنع القوة ومن الحتمية تقوم الحرية وهذه مسائل نقبلها دون أن نناقشها لأنها أسمى من الحوار والنقاش والاستدلال، إنك لا تفقد حريتك هنا في خضوعك للخير الأعظم ولن تكون تابعا باتحادك مع الوحدة العظمى، لأن هذا الخضوع وذلك الاتحاد إنما هو خضوع واتحاد مع وحدة الحب والإرادة مع الخير الأعظم وفي هذه الوحدة لا يخلص الإنسان فقط وإنما يكون حرا قويا أيضا "والدين عنده لا يعوق الحياة وتقدمها ورفعتها، "لأن لرجل الدين فهم صادق بالنسبة للأمل والتقدم كأساسين للحياة أنه يحتويهما في ذاته وهما متصلان أوثق الاتصال بالخير الذي يتحد به " وما دام الأمر كذلك فهما يقودان إلي الرفاهية والازدهار لا إلي الجمود والتأخر (٣).

---

(١) فلسفة الدين الغربية المعاصرة تأليف يوري أناتوليفتش كميليف ترجمة هيثم صعب صـــ ـ ٥ـ٧

(٢) الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه / للدكتور /محمـــود عتمـــان ط مكتبـــة الإيمـــان بالمنصورة صـــ ٢٣٤.

(٣) انظر:بوزانكيت قمة المثالية في انجلترا للدكتور /علي عبد المعطـــي محمـــد ص ٢٣٠ ومـــا بعدها بتصرف وأعلام الفلسفة الحديثة للدكتور / علي عبد المعطي محمد ص ٨٠ وما بعدها، وراجع فلسفة الدين الغربية المعاصرة تأليف يوري أناتوليفتش كميليف ترجمة هيـــثم صـــعب صـــ ـ ٥ـ٨

أما عن صلة الدين بالفلسفة فيرفضها بوزانكيت رفضا تاماً، لأن العقيدة عنده مناقضة للنظر والدين مناقض للفلسفة والنقل مناقض للعقل، يقول بوزانكيت: "إنها العقيدة التي تناقض لا المعرفة ولكن النظر، إن جميع موارد المعرفة يمكن أن تشارك في العقيدة، أما النظر فإن العقيدة تناقضه، لأنه من الضروري لها أن ترتفع إلي عالم آخر بينما نبقى هنا علي عقيدتنا الدينية لأن ما تتطلبه حقيقة وما تعطيه حقيقة

أما في جانب صلة الفلسفة بالدين فإن هذه المسألة ظلت علي مدى تاريخ الفلسفة ومنذ نزول الأديان مثار أخذ ورد ولم يستقر الأمر فيها على حال أو اتفاق، فهناك من يُوفق بين الفلسفة والدين عند جميع الأديان منها اليهودية مثل فيلون ومنها المسيحية مثل أوغسطين وتوما الاكويني ومنها الإسلام مثل الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وفي الفلسفة الحديثة مثل ديكارت واسبينوزا وليبنتز ومالبرانش وهيوم وهوبز، وهناك من يرفض أي صلة بين الفلسفة والدين مثل الفلسفة الوضعية والماركسية والبراجماتية وغيرها. (١)

ونحن نري أن هذا الأمر شخصي بالنسبة للفلاسفة وخاصة في الفلسفة الحديثة مع تشعبها وتعددها في الأماكن والموضوعات فهي تعبر عن وجهات نظر أصحابها، أما هذا الأمر عندنا فإن الدين والفلسفة موضوعهما واحد وغايتهما واحدة وهي العمل بالحق والوصول إلي الحق فلا تعارض بينهما إلا في المنهج فقط، ونحن الآن في هذا العصر لا يستطيع أحد أن يلغي عقله حتى ولو كان في أمور الدين بل نحن في أشد الحاجة للعقل والمنطق في ظل هذا التطور المعلوماتي الهائل الذي لا تتوقف فيه المعلومة أو المعتقد عند صاحبها أو بلده فقط، فماذا عسانا أن نفعل والإلحاد والتيارات المادية المعادية للأديان تنتشر وتستشري، أين المواجهة

(١) الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه / للدكتور /محمود عتمان صـــ ٣٦٥

والتصدي إن لم يكن هناك عقل يواجه ويوضح ويبين.! وفلسفة تبني العقول وتصقلها في ظل الأديان ويقينها وثباتها !إن كل جهود هؤلاء الفلاسفة لتنصب في إصلاح المجتمعات، وأغلبهم في النهاية وصلوا إلي الرجوع إلي الأديان، فالدين موطن الإصلاح والتقدم والرقي.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتجلى علي الخلق نسائم الرحمات، والصلاة والسلام علي خير خلق الله وخاتم الرسالات، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلي يوم الدين. أما بعد

فقد توصلت في هذا البحث إلي بعض النتائج والتي منها:-

١- التأكيد علي فكرة اتصال وتكامل الحضارات والثقافات وتأثير بعضها في البعض الآخر وتسخيرها لخدمة الإنسانية جمعاء

٢- إلقاء الضوء علي بعض الملامح العقلية للفلسفة المثالية عبر التاريخ، هذه الملامح التي كانت بمثابة حركات تطهير للفكر الإنساني وإعداده للوصول إلي ما وصل إليه من نضج للفكر

٣- إن الفلسفة المثالية فلسفة واقعية تجريدية تأخذ بلباب العقل إلي عالم المثال، إلي حيث المأمول، وتطهير الفكر من شوائب المادة والعالم الحسي

٤- أن المثالية القديمة تتميز بأن المُثل فيها مفارقة لعالم الحس والمادة، أما الفلسفة الحديثة إنما هي أفكارنا نحن عن العالم ، وهذا الفكر مستقل عن الموضوعات والأشياء وبالتالي لا يوجد شيء في الوجود إلا ويمكن أن يتعقله الإنسان

٥- أن جميع المذاهب المثالية تتفق علي أن وجود الاشياء الخارجية يتوقف علي وجود القوى التي تدركها وبذلك تتوحد المعرفة والوجود

٦- إن الفلسفة المثالية فلسفة عظيمة الأثر هي فلسفة أم، وهي مذهب إنشائي يرسم الأشياء بحسب ما حقه أن يكون.

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أتضرع إلي الله تعالي أن يكون هذا العمل نافعا، وأن أكون قد وُفقت فيه للصواب، وأن يغفر لي زلاتي، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

ملخص البحث

تُعد الفلسفة المثالية من أقدم الفلسفات الفكرية، والتي ترجع إلى كل من سقراط، وأفلاطون، وتؤمن بأزلية الأفكار وكونيتها، وأن العقل حقيقة كونية، وهو مصدر المعرفة الوحيد، وأن المعرفة أساس الفضيلة، ويرى المثاليون أن الأفكار تسبق المحسوسات، وأن ماهية الأشياء تسبق وجودها.كما يرى المثاليون أن الإنسان مكون من عقل ومادة، أو روح وبدن، أما الروح؛ فينسب إلى عالم المُثل الأزلي، الذي لا يدرك إلا بالعقل، وأما البدن فينسب إلى عالم الحس، ورجحت عالم المُثل على عالم الحس؛ لذلك اهتمت بالجانب العقلي (المعرفي)، وعدت المعرفة قيمة عليا بوصفها طريق الفضيلة.

ولذلك فإن الفلسفة المثالية هي فلسفة أم كما وصفها الكثيرون، لأنها طبقت الوظيفة الحقيقية للفلسفة وهي الاعتماد علي الميتافيزيقا كمنهج فلسفي، والاعتماد علي العقل كوسيلة للتفسير وهي فلسفة بالغة التجريد.، وقد تدرجت الفلسفة المثالية عبر تاريخها الطويل كبقية الفلسفات الأخرى وانتشرت في كثير من البلدان في اليونان وفي المشرق الإسلامي وفي أوربا وفي أمريكا وكان لها فلاسفتها وروادها الذين طبقوا الآفاق، وقد تناول هذا البحث نماذج من روادها عبر تاريخها، وتوسعت في الحديث عن روادها في العصر الحديث متمثلا في هيجل وبرادلي وبوزانكيت باعتبارهم ذوي التأثير الأقوى في العصر الحديث، الهدف من هذا البحث إبراز الفلسفة المثالية ما لها وما عليها من خلال هذه النماذج

وفي النهاية أتوجه بالشكر لله تعالي أن أعانني علي إتمامه، فإن كنت قد أصبت فله الحمد والمنة وعن كنت قد أخطأت فالكمال لله وحده، وارجوه أن يغفر لي زلاتي إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الباحثة: د/ نادية عبد الهادي عبد السلام

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية – للبنات بالزقازيق

قائمة بالمراجع

١-) أعلام الفلسفة الحديثة للدكتور / علي عبد المعطي محمد ط دار المعرفة. الجامعية، الإسكندرية.

٢-) التفكير الفلسفي في الإسلام / للدكتور عبد الحليم محمود ط دار المعارف .

٣-) المدخل إلي الفلسفة / للدكتور علي عبد المعطي محمد ، ط دار المعرفة.الجامعية ، الإسكندرية .

٤-) الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه / للدكتور /محمود عثمان ط مكتبة الإيمان بالمنصورة .

٥-) الفلسفة المثالية قراءة جديدة لنشأتها وتطورها وغاياتها / للدكتور / يوسف حامد الشين بتصرف، ط منشورات جامعة قار يونس الطبعة الأولى ١٩٩٨

٦-) الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها للدكتورة / أميرة حلمي مطر ط دار قباء للطباعة والنشر عام ١٩٩٨.

٧-) المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه /للدكتور /محمد المسير /ط دار المعارف.

٨-) المعجم الفلسفي / ا.د جميل صليبا، الجزء الثاني.

٩) المعجم الفلسفي / للدكتور مراد وهبه ص ٥٧٣ ط دار قباء الحديثة للطباعة والنشر عام ٢٠١١.

١٠-) المُعجم الوجيز إصدار مجمع اللغة العربية لعام ١٩٩٨ م

١١-) الموسوعة الحرة ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki5

١٢-) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة / إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي

١٣-) بوزانكيت قمة المثالية في انجلترا / للدكتور /علي عبد المعطي محمد ط الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٣.

١٤-) تاريخ الفلسفة الحديثة /للأستاذ يوسف كرم، الطبعة الخامسة، مكتبة الدراسات الفلسفية.

١٥-) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي / للدكتور /مصطفى النشار، ط دار قباء للنشر.

١٦-) ثورة البحث عن المعنى، مقالات في فلسفة القرن العشرين / تحرير /ألفرد جوازآيار ترجمة فاتنة جميل حمدي، ومنذر الكوثر ط دار الحكمة ٢٠٠٤ لندن.

١٧) رواد المثالية في الفلسفة الغربية /ا.د عثمان أمين /ط دار المعارف.القاهرة.

١٨-) فلسفة الروح/ ل ولتر ستيس، ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح إمام، المجلد الثاني.

١٩-) قصة الفلسفة الحديثة /للأستاذ أحمد أمين والدكتور زكي نجيب محمود

٢٠-) قصة الفلسفة / ول ديورانت ص ٣٧٥ وما بعدها ترجمة فتح الله محمد المشعشع ط مكتبة المعارف بيروت.

٢١-) قصة الفلسفة الغربية / للدكتور يحيى هويدي ص ٥٩:٦٩ ط دار المعارف عام ٢٠١٦.

٢٢-) محاضرات في فلسفة الدين لهيجل / ترجمة الدكتور / حسن حنفي

٢٣-) مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة دراسة في ميتافيزيقا برادلي للدكتور / محمد توفيق الضوي، ، ط منشأة المعارف بالإسكندرية.

٢٤-) موسوعة أعلام الفلسفة / روني ايلي ألفا ج ٢ ط دار الكتب العلمية بيروت

٢٥) موسوعة الشروق / المجلد الأول إصدار دار الشروق عام ١٩٩٤ لمجموعة من العلماء والمحررين.

٢٦-) موسوعة السياسة، / المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠، الجزء السادس.

٢٧-) موسوعة الفلسفة / الجزء الأول/الدكتور عبد الرحمن بدوي/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر / الطبعة الأولى ١٩٨٤.

17) Suka3 Komentar3 Kali Dibagikan شبكة علوم https://id-id.facebook.com/3lomcom/posts/456854064420404